



پمپئی کا آخری دن

علی سید قطب

روایت

Me كانو
رواية
علي سيد قطب

الطبعة الأولى 2011

© حقوق النشر محفوظة لدار شريقيات 2011



5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي.

الرقم البريدي 11111

باب اللوق، القاهرة

ت: 23902913، 23931548

Sharqiyat2010@yahoo.com

غلاف: أحمد كامل

قطب، علي سيد
ميكانو : رواية / علي سيد قطب - ط 1. - القاهرة: دار
شريقيات للنشر والتوزيع، 2011.
108 ص ؛ 20x14 سم.

رقم الإيداع 2011/10366

تدمك 4-361-283-977-978 ISBN

رواية - العنوان

ديوي 813

Me كانو " رواية"
علي سيد قطب

دار شرقيات للنشر والتوزيع

إلى من يملؤون الكون بإبدا عهم.. فيصل إلينا بقصد أو دون قصد

"ليست ذاكرة الإنسان حاصل جمع بل هي فوضى احتمالات غير
محددة"

بورخس

1

أجهشت بالبكاء، كانت المرة الثالثة في حياتي التي أكون فيها بهذا الضعف، المشاعر المتضاربة اجتاحتها تيار الشجن الرمادي الذي اخترق هشاشتي فخرجت عن مدار التوازن.

أحدهم يطرق الباب ويطلب الدخول، تعجبت من عدم تمييزي للصوت، تعبت يده بالأكرة التي تصدر روحها الحبيسة أنينا معدنيا مقبضا، تضيق محاولاته هباء فقد أغلقت الباب بالمفتاح فلن يرى أحد دموعي، أتجه صوب الباب وجسدي يتجه يمينا ويسارا كساعة أتمت دورتها فأبى بندولها التوقف، تتناقل خطواتي، تدور الدنيا حولي، أفقد الوعي في خطوتي الأخيرة ولا أشعر بشيء.

- خير إن شاء الله.

- صدمة عصبية.. في حاجة زعلته وأعصابه ما قدرتش تتحمل.

أفهم مضمون الحوار المختصر، نظري يرنو في اتجاه ضوء قادم من شباك صغير مطل على المنور، مازلت أرى الأشياء من زاوية عنكبوت يرقد في شبكته يبذل قصارى جهده في محاولة للشعور بفريسته.. تهتز الشبكة كسنارة تحركت بعد طول انتظار صياد جائع.. يتجه العنكبوت إلى الفريسة التي وقعت في الفخ.

ينظر لي الطبيب وعلى قسماته الأسى: وإيه اللي مزعله.. إيه اللي يحصل علشان ولد في السن ده تجيله صدمة عصبية؟! تقولها أمي بسرعة مختلطة بانزعاج من فضولية طبيب يعيد تقليب مواجع من بالمنزل: أعز أصدقائه مات.

أغلق عينيّ فتنساب دمعة واحدة تأخذ طريقا بجوار الأنف لتصل لمثاها الأخير بين شفتيّ.. أذوقها بمرارة تدل على حالي.. يلتهم العنكبوت ضحيته في تلذذ ويتوقف البندول عن الحركة بعد اهتزازات صغيرة وتنتهي سمكة معلقة بخطاف صغير عصيانها وتستسلم في استكانة متعبة معلنة رضاها بالأمر الواقع والقدر المكتوب.

ده مهدئ ياخذ منه كل يوم بالليل، ونصيحة مني.. لو - لا قدر الله - لم يتحسن يبقى لازم يروح لدكتور نفسي.

مازلت أسمع الطبيب وهو يبتعد شيئا فشيئا حتى لا يتبقى منه سوى وقع أقدام رتيب ثم صوت صرير باب الشقة المزعج يعقبه التحام قوى معلنا عن رجوع الباب إلى وضعه الطبيعي، أوجه نظري مجددا إلى ذلك الضوء الذي ينهي رحلته الطويلة من منبعه على الحائط المقابل لي، أنظر لجسد الحائط برهة ثم أعود لخدر الغيبوبة بكامل إرادتي.

في محاولة يائسة للنسيان.. أقوم من السرير بعد فترة لا أستطيع تحديدها، أجوب أرجاء الشقة.. من المطبخ للحمام ثم لغرف

النوم، أفتح باب الشقة من يراني يظنني هاربا في ملابس النوم،
أفتح باب المصعد.. أدخل وأغلق ورائي.. لم أشعر بما حدث بعد
ذلك.

مرة أخرى في السرير ودموع منطلقة من أمي الجالسة على
طرفه، أبي واقف وقد ظهرت على وجهه انطباعات تتغير سريعا
لا أستطيع تفسيرها.

بعد التأكد من نوم هادئ لي يذهب الجميع، ادعيت النوم رغبة
في إرضائهم، أقوم لأفتح الشباك المغلق.. أجد هواءً شديداً،
وسماء عالية بعيدة قد بدأت تمطر.

2

انطلقت السيارة تقطع الطريق، أسمع صوت ارتطام المطر بالأرض في الخارج، الجو سيئ حقا.. أغلق سوستة الجاكيث حتى أحمي نفسي من هذه الرياح اللعينة التي تعصف بي، أبدأ بمتابعة الحركات السريعة لمساحات السيارة التي يقودها عادل، أفكر بمن جعلنا نذهب إلى الإسكندرية الآن.. لعله خالد أو "شديد الرغبة" .. كما نطلق عليه!! وجدتها في فيلم أجنبي لشخص مطابق له في الصفات المعنوية. أما الآخر الذي شجعه على هذه الفكرة السيئة فهو عادل، لقد هيا لخالد كل الظروف المناسبة.. السيارة.. شقتهم هناك.. بكر البواب.. هذه الأجواء كلها جعلت خالدًا يتمسك بفكرته. أما أنا فلم أكن متحمسا لهذه الرحلة ولكن لما قلبتها في دماغي قررت أسافر معهم.. نحن مع بعض طول الوقت، مشروعاتنا واحدة، أحيانا نشترك في هذه الأفكار المجنونة.. أما اليوم فقد شعرت بغربة لكنها قوة الدفع.

قطعت الصمت بيننا قائلاً: إحنا لازم نستريح أول ما نوصل.

هو إحنا رايعين نستريح!! قالها عادل.

لعنته في سري.. فرغبته تمنعه الآن من التفكير في أي شيء آخر.

إنت رأيك إيه.. قلتها لعادل.

أنا مش شايف أي حاجة دلوقتي.. قررروا وأنا موافق.
كنت أعرف جيدا أن "عادل" يأخذ الآن صف خالد.

يعود الصمت مرة أخرى يقطعه صوت اصطدام المطر
بالسيارة.. قبل ساعتين كنا نقف تحت منزل كريم، نزل إلينا، قلنا
له وجهتنا، اعترض على الذهاب معنا.. لو المشكلة مشكلة فلوس
أسلفك.. قلتها مبتسما! فأنا أعرف حال والده جيدا.. فهو يشتريني
ويشتري عائلتي أيضا.

ابتسم هو الآخر قال: بصراحة مش عايز.. قررت أبطل، سألت
حد يعرف ربنا كويس وقال لي فيه حاجات تانية تغنيك عن
الكلام ده.

- بس الحاجات دي حرام برضه.. قالها خالد.
- إنت حكمت إن الحاجات دي مش هي الصوم والالتزام
في الصلاة.. قلت له.
- أنا عارف يا كريم أنت تقصد إيه.. بس أنا سمعت شيخ
من بتوع التليفزيون بيقول الناكح لنفسه ملعون.
- ومين فينا مضربش قبل كده؟!.
- بس مش بالانتظام اللي أنت هنتوي عليه ده.. عارف
حتى لما تتجوز هتفضل تحب العادة دي.
- خلاص.. سيبه يا خالد هو حر، قلتها لإنهاء هذا الحوار
العقيم، كل منهما معلوماته مبتورة وأنا لست بأفضل
منهما حتى أفتح مجال الإفتاءات التي يتحدثان فيها.

ودعنا كريم بعد أن دعانا للصعود قليلا، رفض خالد بشدة وتعلل بالتعجل، ابقو سلمولي على بكر.. قالها كريم قبل أن يغيب عن أنظارنا.

وصلنا إلى ذلك الهدف المنشود، اقتربنا من المنتزه حيث شقة عائلة عادل. ابتسم خالد، ابتسمت أنا أيضا.. أضحك على خالد.. فهو يجهز نفسه معنويا الآن. وقفت السيارة أمام تلك العمارة الشاهقة، نزلنا.. كان الجو قد هدأ قليلا وتوقف المطر، ناديت على بكر فهو يعرف صوتي جيدا، اتجه خالد إلى غرفته وطرق الباب، خرج بكر وقد بدا عليه الضيق ولكنه عندما رأنا رسم ابتسامة كبيرة مشرقة بددت كآبة وجهه.. فهو يعلم جيدا أننا أحد أسباب دخله، وجودنا مرتبط بدخول نقود إلى جيبه الذي لم يعد خاويا، أهلا.. أهلا.. مش تقولوا إنكم جاينين.. كنت فرشتلكم الطريق رمل.

- المهم يا بكر.. إنت عارف طلبنا كويس.
 - تفتكر هتلاقي دلوقتي.. إحنا قربنا على الفجر..
 - أنا خدامكم يا بيه، بس لو عايزين حالا دلوقتي.. هيبقى في فلوس زيادة.. إنما لو تخلوها لبكره يبقى أحسن، هيبقى أوفر لكم.
- أيها البكر اللعين.. تمثل أنك خائف على نقودنا!!

- لأ.. لازم دلوقتي، وبعدين أنت على طول اللي بتطلبه بتأخده.

- خلاص يا خالد بيه، نص ساعة وهيبقى عندك اللي أنت عايزه.

صعدنا إلى الشقة، أخذ عادل يبحث في جيوبه، لا يجد المفتاح.

- غبي.. كنت لازم تتأكد إنه معاك، هنقعد بيها دلوقتي فين؟! عند الجيران.. قالها خالد.

- خلاص نصرف نظر عن الموضوع ونرجع، قالها عادل بيأس.

- إنتم الاتنين مش قادرين تفكروا، أكيد فيه نسخة مفتاح مع بكر مش هو بيأجر لكم الشقة وقت الدراسة.

ارتسمت على وجه خالد ابتسامة الأمل وقال: اسمح لي أرفعلك القبعة على التفكير ده.

وقفنا منتظرين أمام الباب حتى سمعنا صوت بكر، فتح باب الأسانسير، ظهر بوجهه الأسمر ذي الندبة المميزة في جبينه: البت واقفة تحت.

- طلّعها حالا.. قالها خالد وقد سال لعباه.

- الأول بس هات مفتاح الشقة اللي عندك .

- حاضر يا أستاذ أحمد.. حالا.. قبل ده كله، البت طالبة كثير.
- ليه.. هي طالبة في ثانوية عامة.. يقولها عادل ساخرا.
- اسكت.. إحنا موافقين على أي حاجة.
- موافقين مين اتكلم عن نفسك يا خالد، نعرف الأول عايزة كام؟
- مش مهم، الوقت متأخر أوي.. حقها تطلب اللي هي عايزاه، وبعدين خرينا نشوف رأي عادل.
- وطوا صوتكم يا جماعة، وأنت يا بكر طلع الزفتة اللي تحت دي أحسن حد يشوفها ونتفصح، هنتفاهم في الشقة.
- وجه أبيض جميل، صدر ممتاز، مؤخرة توحى بأن الدنيا مازلت بخير، تضع سبابتها في فمها بطريقة احترافية مثيرة.
- لأ تستاهل.. قالها "شديد الرغبة".

كان خالد قد وصل إلى ذروته، وأنا أعتقد لو أتى له بكر بكلب من الشارع فسيقول عليه ممتاز، ويبدأ في التفاوض مع بكر باعتباره وكيل الكلب. بدأت "الممتازة" تكتشف البيت بمفردها، وصلت لغرفة النوم بحاستها السادسة، ولعت نورها ودخلت، وأغلقت الباب. بدأنا كالعادة المشاجرة على من يدخل أولاً، وهذا يكلفني نقوداً إضافية.. وصلنا لحل مناسب.. أنا أولاً.. ثم خالد، وبعدين عادل. هذا الحل دفعني فيه زيادة بالإضافة إلى ما سيأخذه بكر مني.. أنا أعرف جيداً.. أنه يحصل من الفتاة على كثير.. من

المؤكد أن بكر هذا يملك ثروة الآن.. أفاقني خالد وقال بعصبية: ما تدخل هو إحنا هنستنى كتير، لم أناقشه.. اتجهت للغرفة، دخلت، كنت متأكدا من ذلك.. قامت بخلع ملابسها.. مازالت تضع أصبعها في فمها.

اتجهت إليها، أطفأت النور، وفي هذه اللحظة انطلق الأذان من الجامع القريب من منزل عادل، أضأت النور مرة أخرى، وأشرت إليها بالانتظار.. بعدها بدقائق أعدت الغرفة إلى الظلام.. لم تكن تتكلم كثيرا وهذه عادة محترفات الجنس.. الحكاية عندهم مهنة لا يجدون فيها أي متعة سوى العائد منها.. بعكس من في تجاربهن الأولى يرتجفن، يشعرن ببعض الرهبة لبعض الوقت حتى تكسرن ذلك الحاجز النفسي فتصبحن مثلها، خطوات أصبحت محفوظة بالنسبة لي أحصل منها على قليل من المتعة.. مر الوقت، أنهيت ما أفعله.. سمعت صوتها لأول مرة وهي تقول: هو أنت خلصت.. ده أنت سريع أوي.. "أيوه.. أنا طبعي كده.. عايزة حاجة.. " نامت على بطنها وأعطتني مؤخرتها.. ففهمت الإشارة ورفضت رفضا قاطعا.

- بجملة الحرام اللي بنعمله.

- لأ اطلبها من أي حد ثاني.. الحكاية مش ناقصة قرف.

قمت وأشعلت النور، ارتديت ملابسني، أشارت لي وأنا أفتح الباب أن يدخل التالي مباشرة، سمعت صوت أقدام خالد تقترب، دخل مبتسما فاتحا فمه بابتسامة عريضة. دخلت أنا إلى الحمام، خلعت ثيابي، نزلت المياه لتطهر الجسد من هذا الفعل.. لكن هل تتطهر

أعماقنا؟! أغمض عيني لعلني أرى ماء ينصب في نفسي.. لعلني أتخلص من ذاك الولد البغيض الذي ارتكب للتو خطيئة كان يظن بالأمس القريب أنه أبعد الناس عنها! لماذا يقوم بذلك؟ لماذا يجاريهم في تلك الأثام بل ويتقدمهم أيضا؟ مازال بداخلنا بعض البراءة، خرجت من الحمام مع صوت جرس الباب.. بكر معه بعض الطعام، دخل دون أي كلام، وضع الأكياس وخرج مسرعا، أسمع أصوات آهات من الغرفة، أبتسم ثانية فخالد من جماعة محبي تلك الأصوات، يكلفه هذا نقودا إضافية لتقوم العاهرة بتمثيل الدور، يشعر في هذا الأنين برجولة مفقودة ترضي ساديته.. (هي تقوم بعمل ذلك للمال فقط)، تستمر الآهات.. ابتعد عن الغرفة وأذهب للجلوس مع عادل الذي يبحث في أكياس الطعام.. أخرج كيس شيبسي كبيرا.. أفتحه ثم أضعه جانبا وأنظر في باقي ما أتى به بكر.

- شوفت ابن الكلب ما جيش كاتشب.. أقولها لعادل.

- كل بقى وخلص.. مش هتموت من غير الكاتشب يعني.

أبدأ في الاتهام منه وقد ظهر على وجهي غضب مصطنع، ثم أغلق عيني وأنام قليلا، أستيقظ على هزة قوية من يد خالد.. الفلوس.. البنت ماشية.. ألعنه.. ما تعرفش تاخذ اللي أنت عايزه من المحفظة من غير ما تصحيني! أغلق عيني مرة أخرى.. أستيقظ على جرس الباب، بكر جاء يسألنا إذا كنا نريد شيئا.. يشكره خالد.. أنظر في ساعتى أجدها قد تجاوزت الثامنة.

- رجل المهام القذرة بقى جشع جدا.. يقولها خالد.

- مش جديدة عليه.

مرت الثلاثة أيام. مرة أخرى في السيارة عائدين.. أفكر فيما فعلناه ونحن هناك، ثلاثة أيام بثلاث فتيات، ذاهبين للإسكندرية من أجل المتعة، هذا هو ما أراده خالد.. رغم توافر مكان مناسب في القاهرة وهو بيتي.. لكني أرفض دخول مثل هذه الأشكال لمنزلي الخالي.. فنأتي للإسكندرية حيث شقة عادل الخالية التي لا يأتيها أهله إلا في وقت المصيف، وحيث يقيم بكر الذي لا نعرف غيره.. فهو الوحيد القادر على تنفيذ هذه الأمور. رغم جرأتنا مازال بنا بعض الخجل.. لا نستطيع أن نحدث فتاة في مثل هذه الأمور.. رغم خواطري أبتسم، نعم أبتسم لما نمر به، ولما حدث لنا.. هل وصلنا لهذه الدرجة؟! الجنس يدفعنا لقطع هذا المشوار ودفع كل هذه النقود، غرائز تحكمنا.. أغلق عيني مرة أخرى وأقول: صحوني لما نوصل محدش يصحيني قبل كده.

أغرق في الظلمة.. تتنابني أحلام غريبة.. مقابر وكلاب جائعة..
أموات تحيا وأشباح تعربد في خيال ملوث..

هزات عنيفة توقظني.. خلاص كلها عشر دقائق وتكون في بيتكم.. قالها خالد بعد وقت لا أدري به.. وقفت السيارة ونزلت.

سلام.. قلتها وصعدت إلى الشقة، تحاول ذكريات الأيام الثلاثة استعادة حواسي الخاملة ورأسي المرهق، أفتح الشباك حتى يدخل النور إلى الشقة عله يبدد ثلاث دوامات فولاذية مظلمة تصطك وتتداخل وتتضغط لتحكم حصارها حول مجال رؤيتي.

3

إغفاءة وتقرصني البرودة فأنهض لأغلق الشباك، أعود إلى سريري، مازال المطر شديدا لم يتوقف بعد، الشتاء هذه السنة ثقيل.. وأكثر حزنا أيضا. الأمور كلها تدعو للكآبة، أفكر في النزول لمقابلة خالد، لا أدري إن كنت أستطيع إكمال المشوار أم لا.. ليس ذلك مهما، سأذهب له، لا أريد أن أحدثه في الهاتف، أريد أن أراه، أرى حالته، كيف أثر عليه موت عادل؟! أذهب في اتجاه مفاتيح السيارة الموضوععة على الطاولة الصغيرة.. آخذ المحمول حتى إذا أراد أحدهم الاطمئنان عليّ.

أدير سيارة والدي وأنطلق بها غير خائف من أن يكون مصيري مصير عادل نفسه.. الساعة أوشكت على الخامسة والنصف صباحا.. أعتقد أن خالد لا ينام، ولكن الدفء هو أفضل حل في هذا الوقت. كنت متأكدا من أنه موجود بمنزله وأنه لم يذق طعم النوم، حالته مثل حالتي تقريبا، ربما تكون حالتي أسوأ؛ لأن عادل كان أقرب إليّ لأن هناك عديدا من الأشياء التي كنت أعرفها ولا يعرفها خالد.. وهناك أشياء لا يعرف عنها خالد غير القشور أيضا مثل موضوع داليا، أوقفت السيارة. دخلت العمارة الكبيرة.. رمقتي البواب العجوز الذي يبدأ يومه بعد صلاة الفجر وينتهي مع صلاة العشاء.

- طالع عند خالد.
 - بس هو مش فوق. مختفي من ثلاثة أيام تقريبا؟!
 - طيب. إذا شفته قوله يكلم أحمد.
 - حاضر.
- مختفي من ثلاثة أيام تقريبا، من يوم الحادثة، لا أعرف كثيرا من التفاصيل، لكن خالد يعرف.. كان آخر من قابل عادل.
- نظرت حولي، كان المطر قد هدأ تماما وبدأ النور في فرض سيطرته من جديد، جاء لي خاطر أن أذهب لكريم فهو يستيقظ مع والده عند الفجر ويعمل معه في محل عطارته الكبير الذي لا يدخله سوى كبارات البلد على حد قوله، أتحرك إلى بيته القريب من منزل خالد، أسأل البواب فيؤكد صحة معلوماتي، أتحرك إلى محل العطارة الكبير، ما أن أدخل حتى أجده جالسا، ينظر لي غير مصدق عينيه كأني قادم من كوكب آخر.
- آخر واحد أتوقع أشوفه دلوقتي.
 - محتاج أتكلم مع حد، رحح لخالد ملقنوش فجيتلك.
 - خالد ده حكايته حكاية، أبوه عدى عليا، سأل أصحابه كلهم بس للأسف محدش يعرف مكانه.
 - بتهيألك خالد راح فين؟
 - مقدرش أعرف أنت وعادل الله يرحمه كنتم أقرب اتنين ليه.. يعني المفروض أنت اللي تعرف.

- أعرف منين يعني أنت مش عارف حالتني!!
- عارف حالتك وحالة خالد، آخر مرة شوفته في العزا.
- أنت رححت؟
- طبعا.. وكان منتهى الصعوبة. "يسكت ويحاول عدم تذكر الحدث".
- حالة خالد كانت عاملة إزاي؟!
- زفت.. أنا بجد روّحت يومها منهار نفسيا.
- وبعدين؟
- تقريبا مفيش، لا أعرف عنك ولا عنه أي حاجة، لحد ما شفتك دلوقتي.

تركت كريم بعد صمت قصير، ودعته بصوت غير واضح، نظرت لساعتي.. تأملت زجاجها، نظرت للشرخ الذي يشبه في حركته مجرى مائيا يقسم الشاشة إلى نصفين، الساعة السابعة والنصف، تحركت في اتجاه السيارة.

فتح خالد الباب وركبت أنا في مكاني المعتاد على الكنبية الخلفية، ينظر إلينا عادل: أنا مطبق من يومين يعني يا أطلع بيكم على رصيف يا هنلبس في حد.

- كل مرة بتقول الكلمتين دول وبنوصل.
- أنا بحب أنبهكم علشان أبقى عملت اللي عليا.

حاسب.. صوت أحد المارة، ضغطت على الفرامل كرد فعل
سريع، لم أشعر إلا وهناك ورق يتطاير وطفل ينزف ومارة
متجمعون..... وأحلام ضائعة.

4

- إن شاء الله خير.
 - منك لله هتضيع عليه الامتحان.
 - ماكنتش أقصد أكيد.. وبعدين هو اللي مش مركز وهو بيعدى الشارع.
- انهي هذا الحوار القصير، كلانا جالس في صالة الاستقبال الواسعة بينما الأم واقفة أمام الغرفة منتظرة خروج الطبيب.
- نظرت إلى ساعتى فوجدتها الثامنة والرابع، فسألت والده: هو الامتحان الساعة كام؟ رد باقتضاب: تسعة. يعني لسه باقي وقت والمدرسة قريبة وهو لو حالته كويسة يقدر يمتحن، لسه فيه أمل.
- خرج الدكتور من الغرفة، الحمد لله كويس، كلها إصابات سطحية وممكن يخرج بكرة. عندها تحركت مسرعا لتنفيذ ما يدور في ذهني.. سألني الأب مفزوعا: رايح فين؟ أشرت له بالانتظار ولكنه تحرك ورائي خوفا من أن أهرب منه، ركب معي السيارة تحركنا في اتجاه المدرسة.
- الحمد لله.. المديرية دي محترمة جدا.

- كويس أنها وافقت تعمله لجنة في المستشفى.
- في هذه اللحظة وصل والدي ووالدتي، وقد ظهر على وجهيهما الفرع.
- مش ناوي تبطل جنان بقي، أنت خلاص مابقتش طبيعي، أنت مجنون!!

لم أقدر على الكلام وقتها، أبديت انزعاجي فقط فما فعله كريم مع ذلك الحارس العجوز لا يليق أبدا، رأيت عينيّ الحارس تفيض بالدموع، ذهبت بوجهي في الجهة الأخرى حتى لا أرى ذلك الضعف الإنساني بينما تحرك عادل في اتجاه عم كمال.. ما تزعش يا راجل يا طيب.. كريم زي ابنك.

- بس أنا ابني عمره ما غلط فيا.. وبعدين كل ده ليه..
- علشان بقوله إنت ما ينفعش تركز هنا.. أبقى أنا كده مجنون زي ما هو بيقولي يا أستاذ عادل.
- أبدا.. بس أنت تلاقي كريم مخنوق شوية.. ولازم كلنا نستحمله.
- بس إنت ما ترضها ليش يا أستاذ عادل.
- محدش يرضها لك يا عم كمال.. ده إحنا بنشوفك هنا من ساعة ما جينا النادي وبتعامل الكل بمنتهى الاحترام.
- ربنا يخليك يا أستاذ عادل.

- وإذا كان على كريم فهو أكيد لما يهدى هيعتذر.

أنا أسف جدا يا بابا، أنا عارف أنا غلطت لما نزلت وأنا تعبان، وقلقتكم عليا، بعتمر مرة ثانية، عندها احتضننتي والدتي، طيب والولد اللي أنت خبطته عامل إيه، طمأنتها عليه وأخبرتها بكل التفاصيل.. حتى ظهرت على وجهها راحة كصائم أكل وشرب أخيرا بعد انتظار طويل لمغرب لم يأت.

في هذه اللحظة سمعنا صوت صراخ شديد، عندها تتداخل لدي أصوات عدة، مش جديدة.. حالة وفاة.. الله يرحمه، مريض الغرفة سبعة.. الموت أهون من المرض.

- البقاء لله.

- شدوا حيلكم.

- كان نفسي عم كمال يسامحني.

ثلاث جمل قلناها أنا وعادل وكريم على الترتيب بينما كان خالد واضعا نصب عينيه صدر سلوى ابنة عم كمال المستكين في فراشه مستسلما لقضاء الله وقد وجهت عيناه لسقف الغرفة المتهالك. وجهت نظري لخالد حتى يكتفي بما نظر إليه، تمتم ببعض الكلمات غير الواضحة. خرجنا من تلك الشقة الصغيرة الموجودة في إحدى الحارات المجاورة لميدان فيكتوريا بعدما

عرضنا بعض الخدمات التي في استطاعتنا أن نقدمها ولكن عائلته رفضت رفضا قاطعا.

تعجبت من سخرية القدر، ذاهبون مع كريم للاعتذار لكمال نذهب في لحظة وفاته نفسها، علام يدل ذلك؟ ما الرسالة القدرية التي تعجز بصائرنا عن قراءتها، أمر يستدعي التفكير.

- مش بعيد يكونوا الكلمتين بتوعك هما اللي موتوه.

- أنت هتظلعني السبب في موته يا عادل.. ده قدر ربنا.

- خلاص يا جماعة استهدوا بالله.. الكلام دلوقتي ما يتقلش لكريم، كريم كان جاي النهارده لحد بيته يعتذرله، لأنه حس إنه تعب بعد الكلمتين اللي غلط بيهم في حقه، كلامنا دلوقتي للواطي اللي سايب جو الصوت والكآبة والحزن ده و قاعد يبص لبننت ماكملتش ستاشر سنة.

خيم صمت علينا جميعا بعدما قلت كلامي هذا، نظر خالد في الأرض.. نظر عادل لي باستنكار بينما ضحك كريم استهجانا.. ركبت السيارة مع عادل بينما ركب خالد مع كريم، لم يدر بيننا أي حوار وإن كنت أعرف أن كلينا غاضب بشدة من تصرف خالد الأحمق، وصلت المنزل، كعادتي عندما أمر بظروف صعبة أغلقت الباب بالمفتاح، كانت هذه هي أول مرة أشعر فيها بالضعف، بكيت كثيرا في هذا اليوم، كنت أشعر حينها أن هذا إنذار موجه لي أو لغيري ممن حضروا الموقف، وعلينا أن نستوعبه جيدا حتى لا ندفع الحساب.

دخلت غرفة الطفل لأطمئن عليه قبل أن أغادر، كل شيء أصبح على ما يرام، اعتذرت لوالد الطفل ووالدته، أصلحت كل شيء، دفع والدي أموال المستشفى، وبقِيَ أن أعتذر لياسر.

- عامل إيه دلوقتي؟

- الحمد لله.

- حليت كويس في الامتحان؟

- الحمد لله.

- أنا أسف.

- حصل خير.

- أوعدك إنني هاجي أزورك وأطمئن عليك في البيت بعد ما النتيجة تطلع، ما أنت في شهادة "أقولها ضاحكا"

- أول شهادة في حياتي، وكنت هتشاهد قبلها.

- ربنا ستر الحمد لله وأنا أسف جدا مرة تانية.

عدت إلى البيت مرة أخرى، حذرني والدي من الخروج من غير معرفته.

مر أكثر من أسبوع بعد يوم الوفاة الكئيب، اقترح خالد أن نسافر الإسكندرية حيث البحر والبكر والنساء لم أوافق وعادل كذلك.

- ليه مش موافقين، نتناقش.

- يا خالد بلاش، أنا بجد زهقت من القرف اللي إحنا بنعمله ده.

- صح يا أحمد، الواحد بجد زهق من استغلال بكر والنسوان اللي هو بيحبهم.. بقيت أقرف منهم أوي.. وبعدين تصدق شفت واحدة منهم الأسبوع اللي فات وأنا مع داليا.

- وعرفتك؟!!

- أيوه.

- هو أنت شفتها فين أصلا!! قالها خالد بخبت.

- في اسكندرية ما أنا كنت مع داليا هناك علشان هي كانت عايزه تحضر ندوة في مكتبة اسكندرية.

- وأنت شفت البت دي في المكتبة.. قلتها أنا

- آه كانت بتعمل دكتوراه في تخصصها، قالها خالد ضاحكا.

- لأ طبعا مش هناك، أكيد هكون شفتها في الشارع وقعدت تبصلي كتير أوي وأنا وديت وشي الناحية التانية.. تعرفوا كمان أنها جت تنكلم معايا وقالتي أنها شافتني قبل كده وبيتهيا لها إني واحد من زباينها.

- وأنت عملت إيه؟

- أنكرت طبعا.. الموقف كله كان زبالة وبقيت واقف في نص هدومي.
- بنت الكلب زنقتك صح.. بس يا ترى غرضها إيه من حاجة زي دي؟!
 - أنا عارف أهي أذية والسلام..
 - يمكن علشان تشوه صورتك قدام البنبت اللي معاك.
 - جايز.. بس تشوه صورتني ليه؟ هو أنا عملت فيها حاجة.
 - التصرف بتاعها ده غريب جدا.
- تدخل خالد في الحوار بعد صمت طويل منه.. ولا غريب ولا حاجة المثل مش بيقولك عاتبها تديك واللي فيها تجيبه فيك.
- أولا إيه دخل المثل ده في الكلام اللي بنقله، وثانيا هي مين اللي أعاتبها دي. يقول عادل الجزء الثاني من الجملة مبتسما.
 - أقولك وما تزعلش.
 - يا جماعة ما تفكروا قالت لعادل كده ليه أحسن من الكلام الفاضي بتاعك ده يا خالد.
 - أنا عارف، تلاقيه عمل فيها حركة زبالة لما كانوا مع بعض.
 - هكون عملت فيها إيه يعني، أكثر من اللي هي عملته في نفسها.

- أقولك وما تزعلش، نطقها خالد .
- يا سيدي قول وخلصني.
- تلاقىها افكرت داليا زيتها وحببت تاخذ مكانها وهي أولى بالأموال من الغريب باعتبار أنك كنت معاها قبل كده.
- خالد احترم نفسك، إزاي تتكلم كده عن داليا. يقولها عادل بعصبيية.

يرن موبايلى في تلك اللحظة ليقطع حبل الذكريات، غريبة لماذا تتصل داليا بي؟! لماذا أنا بالذات؟! أرد بعد تردد، أشعر بحزن في صوتها، ترغب في مقابليتي.. أعدها بذلك.. تلح بشدة لمعرفة الموعد.. أعدها ثانية بأني سأتصل بها عندما تتحسن أحوالي، تغلق وقد ظهر في صوتها نوع من خيبة الأمل.

أول مرة أفكر بمنهجية بعد الحادث، لابد من أن أساعد نفسي.. عليّ أن أتجاوز تلك الحالة لتطمئن العائلة قبل أن تسافر مرة أخرى فقد تبقى من أجازتها أسبوعا.

عليّ أن أبدأ التفكير بمكان خالد، أين يمكن أن يذهب؟! عليّ أن أسترجع جميع معارفه حتى يمكنني معرفة مكانه.

أراجع نفسي مرة أخرى، من المؤكد أن والد خالد قد بحث في كل الأماكن الممكنة، يجب أن أبحث أنا في أماكن أخرى لا يعرفها، يجب أن أقابل داليا أيضا.. عليّ أن أعرف ماذا تريد؟ وأن أحاول إخراجها من أزمتها التي تشبه أزمتي.. كما توجد كثير من الأمور الغامضة لم تتضح بعد...

وجوه غامضة تظهر بأرصفة خطانا المغترية، هؤلاء الذين نقابلهم ونتصور أنها مرة وانتهت، لكنهم يظهرون ثانية في حياتنا ويقومون بالتأثير فينا، إنهم رسائل قدرية تترك في صحيفة نفوسنا بصمة واضحة بأسلوب مميز أو غريب.

أشخاص يظهرون مرة واحدة ويختفون بعدها إلى الأبد بينما نظن أن تأثيرهم سيستمر، لكننا نمضي تاركين إياهم عند أول منعطف.

مر أسبوع والثاني.. اطمأن الوالد والوالدة عليّ.. أوصوا خالتي بأن تأتي من الإسماعيلية كل فترة لتراني.

ضحكت كثيرا عندما سمعت هذا.. منذ متى وهي تهتم بي؟! أعرف مشاكلها الكثيرة مع والدتي.. خلافات على ميراث سخيف، منزل صغير مجاور للمنزل الذي تسكن فيه خالتي مع زوجها دون أولاد، طلبت خالتي من أمي أن تتنازل لها عن نصيبها حتى تقوم بهدم البيت لتوسيع منزلها، رفضت والدتي بشدة، لم تقتنع الخالة بالمبررات، ما معنى الذكريات؟ سبب تافه لمنع البيع.. عرضها أسمى من عرض أمي.. عموما لم يعد هناك شيء يؤثر على علاقتهما الباردة الآن، فعلاقتهما على المحك.. فهي لا تتعدى بعض المجاملات والكلمات المحفوظة في المناسبات.. عيد

صغير.. عيد كبير.. عيد عمال.. أعجبتني نكتتي السخيفة فضحكت كثيرا.

لا أعرف لماذا اتصلت بها أمي من الأساس؟ هل أمي قلقة عليّ لهذه الدرجة؟ حالتني لم تصل لهذا السوء بعد.. مازال بيني وبين الجنون مسافات ولكن كل الطرق موصلة له. لا، عليّ أن أعاند القدر، لن تكون نهايتي الجنون، عليّ التصرف حتى أهرب من هذا المصير.

استقبلتني الممرضة الحسنة بابتسامة مطمئنة، طلبت موعدا.. راجعت كشفها، اعتذرت عن عدم وجود أي مواعيد لثلاثة أيام مقبلة، أخبرتها بعدم تعجلي. حجزت موعدا مناسباً وخرجت غير مراخ لتنبهاتها التي تدور في فلك واحد وهو: إنه في حالة عدم حضوري ضاعت عليّ نقودي.

أقترب الآن من منزل كريم، أتذكر مدام مديحة جارته التي تسكن في الطابق الأعلى والتي كنت على علاقة بها منذ ثلاث سنوات.

منذ أن تعرفت على كريم وأنا أتردد على منزله.. قابلتها مرة في المصعد، لم تظهر بعدها لثلاثة أشهر حتى أنني نسيت أمرها، قابلتها بعد ذلك مرات عديدة وأنا طالع أو نازل لدرجة أنني كنت أشعر أن هذه المقابلات مقصودة.. بدأت مديحة تثير شكوكي.. حاولت جمع بعض المعلومات عنها.. عرفت أنها أرملة منذ خمس سنوات.. كانت تعمل قبل زواجها في إحدى شركات التأمين.. تركت الوظيفة لرغبة زوجها في ذلك.. كان زوجها

يملك شركة لإيجار السيارات استولى عليها أولاده من زوجة أخرى بعد وفاته.. تركوا لها الشقة ومبلغا من المال"بعض من هذه المعلومات عرفتھا منها بعدما توطدت علاقتنا".

كنت أتردد على شقتها لفترة ثم طلبت مني بعد ذلك إنهاء علاقتنا، وافقت دون تردد، كنت أريد ذلك وفي الوقت نفسه لا أريده، بعد إنهاء العلاقة بشهر أبلغني كريم أن والده يرغب في اقتناء زوجة ثانية.. قالها لي بنفس اللفظ، أبلغني أيضا أن اختيار والده وقع على مديحة. سألته إن كان قد أخذ رأيها أم لا.. لم أدهش عندما أكد لي توقعي. أخبرها من شهر تقريبا منذ أن طلبت إنهاء علاقتنا، تركت كريم وطرقت بابها بعنف فتحت وعلى وجهها دهشة، أتذكر تلك المرة جيدا، كانت أشبه بعملية اغتصاب بلا أي إحساس، تركتها بعدما أغرقتها بسيل من السباب واللعنات. لم أكن أدري بنفسي.. هددتها بأنني سأخبر والد كريم بعلاقتنا، أمسكت بيدي تود تقبيلها، ترجتني كثيرا حتى لا أخبره. خرجت دون أن أظهر اهتمامي بتوسلاتها، بعد خروجي اتصلت بي كثيرا.. لم أرد إلا بعد أن أرسلت لي رسالة على الموبايل تخبرني بأنها ستنتحر. أعرف أنه قد يكون مجرد تهديد ولكن تملكني الخوف، خفت من أن تياس وتفعلها، اتصلت بها.. لم ترد في أول مرة.. أدركت أنها حرب باردة تريد أن تتلاعب بأعصابي مثلما تلاعبت بأعصابها، كلمتها ثانية.. ردت.. أخبرتها بانتهاء الموضوع وأغلقت مباشرة وكانت هذه هي آخر مرة أتحدث فيها مع مديحة.. وانتهت قصة مديحة.. وأحسبت أنها انتهت.

اتصلت بداليا، حددنا موعدا للمقابلة، أعتقد أننا في حاجة للكلام.. لم ألتق بداليا من قبل إلا مرات معدودة.. فتاة جميلة تصغرنا بعام، كان عادل دائما يتكلم عنها، عادل يعرفها منذ أن كان طفلا.. كان يكلمنا في هذه النقطة دائما.. أجمل حاجة في الدنيا إنك تشوف اللي بتحبه بيكبر قدام عينك.. أنا مش ممكن أتصور الحياة من غيرها، جملتان كان عادل يكررها دائما.. منذ أن تعرفت على عادل وكريم وخالد يعني منذ عشر سنوات، كنا دائما معا حتى فرقتنا حادثة عادل. نصف حياتي تقريبا قضيتها معهم، منذ أن أصبح لي إرادة خاصة، أختار، أفرق بين ما أريده وما لا أريده. منذ خمس سنوات سافر والداي، سألاني إذا كنت أحتاج إليهما.. فضلت الصمت فالإجابة معروفة.. أخبروني أننا نحتاج للنقود.. الاحتياجات زادت.. لم أمانع، أعجبتني فكرة السكن بمفردي وأن أكون مسئولا عن نفسي، وجدت هذه الفكرة موجودة عند الغرب.. عرفت ذلك عندما راسلت أنيا منذ سنة ونصف فهي أيضا تسكن بمفردها. (أستطيع التعامل معها ببعض الألماني الحكومي الذي تعلمته في الثانوية العامة، ترفض الإنجليزية وتعنز بلغة بلدها) عندما زارت مصر منذ ثمانية أشهر.. دعوتها على استحياء لمنزلي.. وافقت بشدة وكانت ليلة لا تنسى.. فتاة أوروبية رائعة الجمال وأنا.. ماذا أريد أكثر من ذلك أو ماذا يريد أي شخص أكثر من ذلك؟ لا هناك أكيد من يفضل الأسويات أو اللاتينيات.

سخر عادل كثيرا عندما سمع موضوع المراسلة هذا.. "ياه كان أبأونا يفعلون ذلك في السبعينيات والثمانينيات" .. بدأ الموضوع

عندما عرفت المواقع التي تساعد على موضوع المراسلة..
وضعت بياناتي وصورتني.. بعدها بشهر وصلتني رسالة على
الميل من أنيا.. وعشنا القصة.

وصلت داليا في موعدها تماما على عكس عادل الذي كان
يتأخر دائما، بعد بعض الأحاديث المملة التي يحتم الواجب قولها
بدأ الحديث المهم، سألتها عن تفاصيل حادثة عادل فأجابت إنها
كانت تعرف أن هناك بعض الخلافات العائلية ولا تعرف إن
كانت الحادثة متعلقة بهذا الموضوع أم لا، لهذا السبب انقطعت
اتصالاتي بعادل قبل الحادث، لم يكن يتصل بي وحتى عندما
اتصلت به لم يكن يرد.

عدت إلى المنزل بعد لقاء لم أكتسب منه أي معلومات، لعنت
تعجلي فالمشاكل لن تحل بهذه السرعة، لم تكن هناك أي
مفاجآت.. داليا وأعرفها من قبل.. أما بالنسبة لشخصيتها
وتفكيرها فعادل كان يحكي لي كثيرا عنها وسبق أن عرفني بها.

ظهرت على عادل حيرة لا أعرف سببها، أبلغني عن استيائه من
تصرفات داليا، تصر على الذهاب يوميا للمعرض طوال فترة
وجوده وهو يرفض ذلك.

- إيه يا عادل، غيرة دي!!

- لأخوف عليها، مين المجنون اللي يروح معرض الكتاب كل يوم؟! هو الناس بتروح يوم ولا يومين لما حد يروح كل يوم، ده أكيد فراغ بعيد عنك.
- لأ فيه كتير يا سيدي، وبعدين معظم الناس اللي بتروح دول عالم مثقفة ومحترمة.
- مش نظرية على فكرة، مش كل المثقفين محترمين ولا كل المحترمين مثقفين.
- طيب أنت خايف عليها ليه؟
- مش عارف بس فيه أشكال كتير مش بطمنلها هناك، وبعدين فيه عيال كتير بتروح لا ليها في قراية ولا زفت.
- مش عارف أفلك إيه.. طيب ما تقنعها تخلص كل اللي هي عايزاه في يوم واحد أو يومين.
- حاولت ومعرفتش، وبعدين هي بتقوللي إنها وراها أبحاث كتير ومشاركة في مؤتمر في آخر مارس بتحضرله.
- من دلوقتي.. إحنا فين وميعاد المؤتمر ده فين.
- قلت لها نفس كلامك.. ادتني محاضرة في فن إدارة الوقت.. وعملتلي فيها أستاذة تنمية بشرية.
- والحل.
- لازم أتكلم معاها تاني.. وربنا يسهل.

بالفعل تكلم معها عادل مرة أخرى ووعده أن تنهي بحثها
سريعا، رافقتهم في بعض الأيام، داليا طالبة السنة الثانية بقسم
الإنجليزي، الذكية اللماعة التي تسعى دائما أن تكون الأفضل..
لاعبة تنس لا أستطيع معرفة مستواها بالتحديد لجهلي بقواعد
اللعبة، كل ما أعرفه أني شاهدت مباراة لها في بطولة الجمهورية
واستنتجت أنها فازت " رأيتها سعيدة بعد المباراة وهناك عادل
أيضا فتأكدت من استنتاجاتي، بمنتهي الصراحة لم أسألها عن
النتيجة حتى لا أشعر بالإحراج. " الطموح هو أهم ما يميزها..
هكذا قال لي عادل.. كل كلمة قيلت لي عنها مازلت أتذكرها ولا
أعرف لماذا ظل ذلك عالقا بذهني ولكن ربما أعرف ذات يوم.

أنيا رائعة الجمال تصل، كما رسمت لها صورة في خيالي، الشكل الأوروبي التقليدي الخالي من التعقيدات، لا تعرف شيئا عن العربية "هذا ما أعتقدته في أول الأمر"، ولا تريد التحدث بالإنجليزية، جاءت لتقضي أسبوعا كاملا معي "هذا ما أعتقدته في أول الأمر" تريد مني أن تشاهد مصر كلها في هذا الأسبوع، تجيد استغلال وقتها حقا، كانت مشكلتي الحقيقة كيف تصعد أنيا إلي شقتي دون أن يراها أحد؟ ولكن أنيا أبلغتني أن شركة السياحة حجزت لها في أحد الفنادق الضخمة لكني أظهرت استيائي فأخبرتني أنها ستأتي معي. أفكر في أن أسافر معها، تشجعتني على عدم أخذ هذا القرار لدرجة أنني شعرت أنني أكلم داليدا وهي تقول لي أنا بالذات بلدك بيك أولى يا أحمد، تبدأ تكلمني عن بلدها وإنجازاتها، تنهي كلامها، أبدأ أنا في الكلام: إحنا خدنا مرة رابع عالم في كرة اليد، أوجو كان في الزمالك، كسبنا إيطاليا في كاس القارات، طبعا مش هأقولك على بطولة أفريقيا ده غير إننا بنينا السد العالي، وعندنا مترو الأنفاق وحلاوة شمسنا وخفة ظلنا.. ده غير إننا الناس الوحيدة في العالم اللي بتحب تنشر غسلها الوسخ في الفضاء. لم تفهم معظم كلامي، حمدت الله على ذلك. تبدأ في الحديث عن نفسها وعن عائلتها، المفاجأة، عمها

صحفي في جريدة ألمانية كبيرة وهي صحفية مثله أو تود أن تكون مثله.. ينتهي كلامها عند هذا الحد، تأتي معي إلى شقتي، أراقب الطريق.. تدخل أنيا وأقف أنا على السلم أراقب، أطمئن، لم يرها أحد، أدخل سعيدا.

أخيرا أنا وهي بمفردنا، أبدأ في الغناء بأي كلام، ومن الممتع أن أنيا لا تفهمني، أنيا الصغيرة، أنيا، حركاتها مثيرة، أنيا، أردد هذا الكلام الفارغ، وهي تهز رأسها بتعجب غير قادرة على فهم الكلام العجيب الذي أقوله، كأنني ساحر يردد تعاويذ غير مفهومة، تبدل ثيابها، نجلس معا نتبادل الحديث، ثم أقوم أنا بتريده كلامي الفارغ مرة أخرى، أنيا الصغيرة، أنيا، حركاتها خطيرة، أنيا.

كم كان الأمس جميلا! أنيا مازالت نائمة، كم هي جميلة! أتابعها في صمت، أراهن أنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها.. يرن موبايلي، إنه عادل.. يطمئن عليّ.. لم أتصل به بالأمس، أتعل بمرض مزعوم أصابني، يعرض عليّ المجيء لزيارتي، ما تتعشب نفسك.. أقولها له.. مش وقتك خالص.. أقولها بأعماق، إن شاء الله هبقى كويس.. اتفتت أن أكلمه بعد يومين حتى أكون قد استعدت صحتي، تستيقظ أنيا و نتناول الطعام معا.. تريد أن تكون معي طوال الأسبوع.. يبدو أن أدائي بالأمس كان مشرفا.. قلتها بداخلي.. أرحب بهذا، أفضل شيء بالنسبة لي الآن هو البقاء معها. لماذا فكرت في عادل وخالد في هذه اللحظة؟ اخترت أنيا ولم أختارهم، هل هي تستحق ذلك؟ سؤال وقفت عنده كثيرا، حتى الآن ما قدمته لي أنيا قدمته لي كثيرات، ولكن لماذا

أظلم معها؟ قل الحقيقة، ربما هي عقدة الخوافة، لا أعرف، أحيانا أظلم أفكر ولكني لا أصل إلى أي نتائج، عندما أجلس مع أنيا في أي مكان عام أشعر بشيء لا أعرف اسمه.. ولكني يمكنني وصفه.. شعور رائع، أجلس مع خوجاية.. لا تعرف في هذا البلد الغريب شخصا غيري، تثق بي لدرجة كبيرة.. أشعر كما يقول المسئولون بنوع من الريادة. مجرد أن أنيا من بلد آخر هو ما جذبني لها، لكن ما أكرهه في أنيا هو أنني أشعر أحيانا أنها بلا روح، مثل العروسة الحلاوة كما يقولون.. تقترب أنيا من صورة لي مع عادل وخالد.. تسألني عنهم، أخبرها بأنهم أصدقائي، تخرج صورة لها مع شاب، صديقها من بلد عربي آخر، لا أعرف لماذا تضابقت؟! شعوري بالريادة يتلاشى.. تطلب أنيا الخروج، أراقب مدخل العمارة مرة أخرى ونخرج بسلام.

حين أكون مع أنيا يضايقني كثيرا المعاكسات التي تتعرض لها، كلمات سخيفة يقولها بعض الشباب، يبدو أنهم لم يتعلموا بعد من إعلانات السياحة خير لنا كلنا. عرفتني أنيا على صديقة أخرى، لا أتذكر اسمها فلم نقض معها أكثر من يوم واحد، ولم تسلم هي الأخرى من المعاكسات، أتذكر جيدا عندما مشيت معها هي وأنيا، كم كنت سعيدا! على يميني أنيا وعلى يساري صديقتها، حينها انطلق صوت من خلفنا يقول ساخرا: وردة وفلة واللي في النص قلة، نظرت خلفي وجدت ثلاثة شباب.. يبدو أن ما أفعله مع خالد وعادل يُرد لي الآن، أعترف أنهم استفزوني بسهولة، كل من في الشارع يضحك.. أنيا وصديقتها لا تفهمان.. أنا في قمة غضبي.. أمسكت بطوبة، استقرت في رأس أحدهم، أدركت عندها براعتي

في التنشين، لم أشعر بما حدث بعدها، كل ما أتذكره.. إني وجدت نفسي في القسم.. حماني جواز سفر أنيا.. قالت بانفعال جملا كثيرة ما استطعت فهمه منها: هؤلاء ضايقوني.. وأنا بشهامة ولاد البلد أنقذتها، وقف الشباب لا حول لهم ولا قوة، رأس أحدهم مازالت تنزف، خرجنا من القسم ومازال الضابط يعتذر لنا على وعد بتربية هؤلاء الشباب بحجة أنهم ينقصهم الأخلاق.. أعذر لأنيا عما حدث، تبلغني بعدم غضبها كما أنها سعيدة بأنها ساعدتني في الخروج من هذا المأزق.

تسألني أنيا عن مكان ما.. أسألها عن السبب فتخبرني عن مظاهرة لم أكن أعلم سببها، تتعجب من عدم متابعتي للأخبار، أخبرتني عن سبب زيارتها لمصر، مقتل مصرية بألمانيا تدعى مروة الشربيني، كُلفت أنيا بمتابعة ردود الأفعال بمصر، تراسل صحيفتها بشكل يومي، أبدت انزعاجي في أول الأمر ليس بسبب عدم تصريحها لي بذلك ولكن لأنني من الممكن أن أساعدها بصورة كبيرة، نذهب معا للمظاهرات الموجودة أمام السفارة الألمانية أو لعائلة الفقيدة، لم أدهش عندما أخبرتني بأنها فعلت كل ذلك، فكل هذه أفكار تقليدية من شاب تافه لا يريد أن يفكر أو ربما لا يعرف قواعد التفكير السليمة من الأساس.. ما دهشت منه حقا هو أفعال هؤلاء الغربيين، يفعلون كل الأشياء في الوقت نفسه أما نحن حسب اعتقادي نخصص أوقاتنا، عدد ساعات محددة للعمل بينما هم يعملون حتى في بيوتهم، لا أعرف لماذا بدأت في مقارنة عقيمة لا تجدي؟ هل أقارن بين أناس يعملون أكثر من عشرين ساعة يوميا وغيرهم لا يعملون؟ انصرفت عن هذه

المقارنة وبدأت أجمع أفكارى كلها حتى أصل في النهاية للفكرة الجبارة التي تبهر أنيا وتجعلها تراني أذكى شخص في العالم.

رفضت كل الأفكار التي تبدو بها مناقشة للعنصرية فهي لا تريد فتح مثل هذا الملف في مثل هذا الوقت كما رفضت كل الأفكار التقليدية الباهتة المكررة، أخيرا وافقت على فكرة واحدة، المقارنة بين ألمانيا وغيرها من الدول في مثل هذه الجرائم.. كيف هي في ألمانيا حوادث فردية بينما في بقية الدول التي تعاني من هذه الجرائم بصورة مكررة.. لو قلت لها أنني استوحيت هذه الفكرة من المثل القائل "اللي يشوف بلاوي الناس تهون عليه بلوته" لرفضت على الفور.

بعد دقائق صامتة اقترحت فكرة أخرى، كيف أن الغيرة من الأشخاص الناجحين يمكن أن تؤدي إلى مثل هذه الجرائم، أعجبت بها هذه الفكرة أيضا، بدأنا نتناقش في النقاط الأساسية للمقال، لم أجادلها كثيرا لأنني لا أعرف تفاصيل كثيرة عن الحادث لأنني لا أتابع الأخبار سواء أكانت في التليفزيون أم في الجرائد.. لم أقل لها ذلك لأنني خجلت. كل ما قلته لها هو شعوري ببعض الصداغ، ظهر على وجهها التأثير، فتحت حقيبتها وأخرجت علبة أعطتها لي، أخبرتني أن هذا الدواء ممتاز، أخذت قرصا واحدا ثم قمت بإعادة العلبة لها فرفضت وقالت لي : ربما تحتاجها ثانية.

أتذكر هذه المرة عندما كنا في مظاهرة أمام السفارة تدين الحادثة وتستنكر هذه العنصرية الموجودة منذ الحرب العالمية الثانية..

ظهر الانزعاج على وجه أنيا وقالت بعض كلمات لا أفهمها، أخبرتها بجهلي بهذه الكلمات التي لم تمر عليّ في دراستي عندها سمعت بعض العربية منها، دُهِشت، فسألّنتني باستغراب عن سبب هذا التعجب؟ أخبرتها أني كنت أعتقد أنها لا تعرف شيئا عن العربية فضحكت كثيرا وسألّنتني ثانية كيف سترسل الجريدة أنيا لمصر دون أن تدري بعض العربية البسيطة، لعنت غبائي، سألتها عن عدم تحدثها معي بهذه العربية المكسرة فأخبرتني أنها اعتقدت أني أود التحدث معها بلغتها، أخبرتها أن هذا بالتأكيد لم يكن ما أريده فأنا أجاهد لكي أفهمها أو أن أخبرها بما أريده بلغتها ولكن هذه هي رغبتها، ليست هي فحسب بل كل الألمان كذلك فخورون بأنفسهم.. غضبت مني كثيرا، تركتني ورحلت، كانت هذه هي أول مرة نتشاجر فيها، انتظرت بعض الوقت حتى تهدأ ثم ذهبت للفندق لكي أقابلها، اعتذرت لها كثيرا ولا أدري لماذا قمت بالاعتذار؟ ربما كي لا تضيع فرصة من يدي بعد أن اقتنصتها "كنت أظن ذلك" نعم فكيف لي أن أعوض نفسي بفتاة مثل أنيا إذا قطعت علاقتها بي، هذا ما علمته لي الحياة في السنين القليلة التي عشتها في هذه الدنيا، لا تترك شيئا معك حتى تجد الأفضل أو على الأقل البديل المناسب، الشيء المهم أن أنيا قبلت اعتذاري فقامت بدعوتها إلى شقتي مجددا فرفضت متعللة بكتابة الرسالة اليومية لجريدتها.. تركتها وذهبت لبائع جرائد أعرفه، طلبت منه الجرائد التي كتبت عن حادثة مروءة، قرأت كل ما تم كتابته عن الحادث على الإنترنت، في اليوم التالي ذهبت لأنيا.. تناقشنا كثيرا عندها فقط لمحت في عينيها انبهارا بما أقوله وقد

كانت هذه هي اللحظة المناسبة التي أنتظرها، دعوتها لشقتي مجددا فوافقت.

لمحت لأنيا عن رغبتني في زيارة بلدها لم تبد اهتماما ولم تذكر أي من الكلام الذي أعرفه ويقال في هذه المناسبات مثل تأنس وتشرف أو تنورها، بدت غير متحمسة فعرضت عليها الموضوع بوضوح أود زيارة ألمانيا، سألتني عن السبب، بمنتهى الصراحة لم أعرف إجابة.. طار الكلام من ذهني، لم أخبرها بأني سأبدأ هناك وأن أرض ألمانيا ستكون شاهدة على قصة كفاحي، ولكنني قلت بسخرية نفسي أشوف ماتش لزيدان وهو بيلعب لدورتومند وأنا في الإستاد.. ضحكت أنيا بهستيرية حتى دمعت عيناها ولم تعلق بأي كلمة.

جاء اليوم الذي ودعتها فيه، لم أفاتها في موضوع السفر مرة أخرى فقد شعرت أنها تتهرب مني ولم أود أن أبدو كربة المنزل الزنانة التي تفتح مع زوجها الموضوع نفسه بلا أي كلل.. فقد وصلتني رسالة أنيا دون أن تقولها.. أنتم غير مرغوب فيكم في هذا العالم غير في بلدكم، حتى يأتي اليوم الذي تصبحون فيه غير موجودين بالمرّة، نحن مضطرون للتعامل معكم.. إقامة علاقات لكسر ملل سخيف.. الابتسام أحيانا للمجاملة، ليس أكثر من ذلك، قد نحتاجكم أحيانا، ندرس العربية لمعرفة طريقة تفكيركم اللامنطقية حتى نحترس من أفعالكم الغريبة.

ربما لم تدر كل هذه الأفكار في عقل أنيا وأنا الذي شطحت بخيال مريض بعيدا عن واقع أجهل به كالمؤلف الذي يكتب عن صراع رأس المال وهو جالس في مكتبه يحتسي فنجان القهوة ويشعل لفافة تبغ "كما يقول مترجمو القصص الرخيصة" أتلقى ضجيجا من حولي دون تمييز الكلمات أو حتى معرفة ما يقال لي وما يقال لغيري، كلمات مبهمة تخرج من فم أنيا تأخذ طريقها في الهواء لأذني ولكنها تضل الطريق فلا أتبينها.

لم أكن أعرف لماذا شعرت بإهانة قد تكون غير مقصودة؟ ولا أعرف لماذا شعرت بتدهور حالتي فجأة؟ لم أكن متوقعا لرد فعل أنيا فأنا عرضت عليها عرضا ما ولم تجب عليه ومخرج من تكرار الطلب.

يبدو أننا زدنا بكثرة غير محسوبة فرخص ثمننا وقل الطلب علينا، ويبدو أنني مصاب بمرض ما لا أعرفه، أسمع صوتا غير غريب عليّ ولكني لا أستطيع تمييزه كل ما عرفته أن أنيا قبلتني وغادرت وأنا جالس بمفردي علي طاولة أحدث نفسي وكل المارة تنظر إليّ في تعجب، نظرات مريبة مشفقة على شاب صغير السن يشعر بإهانة شديدة فيدفع الحساب ويرحل بسرعة وهو يجمع شتات نفسه ويللم دموعا تناثرت على وجهه، أركب السيارة فلا أرى طريقا ولا أسمع أناسا، أغلق عينيّ وأفتحهما فأرى ضبابا كثيفا، أوقف السيارة على جانب الطريق تجنباً للحوادث وأغلق عينيّ ثانية.

كانت أحلامي في هذه الليلة وحشا ضخما على شكل أنيا يجري ورائي حتى يمسكني بعد أن يمتلكني التعب فيحاول التهامي، يفتح فمه على وسعه ثم يقذفني فيه، تأخذ عملية الهضم مسلكها الطبيعي، حتى أستطيع الخروج من الناحية الأخرى، عندها استيقظ وقد تملكني شيء من الاستياء و التقرز.

استمر هذا الحلم يراودني وفي كل مرة يتكرر الحلم بتفاصيله الدقيقة فكرهت أنيا وكرهت تلك الأيام التي كنت فيها معها وتحولت هذه الأيام من ذكريات جميلة إلى كوابيس مرعبة.

بدأت أتذكر كل كلمة لأنيا وأحلها بسوء نية مقصود وأتذكر كلاما وأصر على أنه قيل على لسانها وحقيقة الأمر هي لم نقله ولكني كنت أصر على تشويه منظرها أمام نفسي وتحويلها من صورتها الأولى إلى صورة الساحرة الشريرة التي تلتهم الأطفال.

مر يومان أو ثلاثة على رحيل أنيا إلى بلدها، لم أخرج من المنزل بعد تلك الواقعة، فتحت الكمبيوتر، لم أكن متوقعا أن أنيا سترسل لي بهذه السرعة ولكنه حدث.

"ربما لم تكن تتصور أنني سأرسل لك بهذه السرعة، قبل كل شيء أود أن أشكرك على تعاونك معي ومساندتك لي.. هناك كثير من الأشياء كانت غير واضحة بالنسبة لي ولكني الآن قادرة على الحكم الصائب لكل هذه الأمور.

أولا بالنسبة لرغبتك في السفر سأقولها لك بشيء من الصراحة، هذا الأمر في غاية الصعوبة وله شروط معقدة كثيرة وخاصة أنك لم تحصل على شهادتك بعد.

لا.. أنا أكذب وهذا ليس من عادتي، الأمر قد يكون في استطاعتي وأقولها لك، قد يكون.. أي أنني لا أعرف بالضبط، ولا أود أن أعرف.. كل ما أعرفه هو أن الأمور الآن ليست كمثّل الأمور في سابق عهدنا.. هناك متغيرات أصبحت واقعا يمثل لنا قوانين لا يمكن أن نحيد عنها.

ألمانيا مثل غيرها من البلاد ربما يكون لها طابع خاص (كل من يقول هذا عن بلده ربما فقط المغرورون يقولون بلدنا مختلفة كل الاختلاف) فإذا ذكرت العنصرية فهي أول بلد ستأتي في ذهنك رغما عنك وكلنا نعرف الأسباب، ومهما مر الزمن ستظل هذه الصفة موجودة وصفات أخرى تترتب على الوصف بهذه الصفة، عموما ليس هذا هو موضوعنا.. كل ما أود قوله أنني قد أساعدك في يوم من الأيام مثلما ساعدتني عندما كنت في مصر فهذا حق لك .. فقط حاول أن تكون جادا.. حاول أن تركز قليلا أو أن تجعل تفكيرك إيجابيا.. نظم وقتك وحياتك.. أعذرنى إن قمت بدور الناصحة.. حاول أن تتحملني فأنا أكتب كل ما يدور بذهني حتى لا أبدو أمامك مصطنعة أو غير واضحة فأكثر صفة أحبها في حياتي هي الصراحة.

أخيرا أود أن أطلب منك شيئا واحدا، أود أن نحتفظ بصدقتنا
مهما حاولت الظروف إفسادها فأنا مخلصه جدا لأصدقائي المهم
أن يستحقوا هذه الصفة.

تمنيتي لك بالتوفيق وفي انتظار ردك.

كنت أتمنى أن أعذك بشيء ولكن هذا أفضل.

على فكرة نشر موضوعي ونال إعجاب الجميع هنا..

الصديقة أنيا"

بعد قراءتي لرسالتها، امتزج شعوري بين الفرحة والضيق،
فرحتي لأن أنيا ردت عليّ ردا بدا مقنعا لي، والضيق جاء من
تأجيلها لهذا الرد، ولأنها أظهرت بعضا من العيوب التي أحفظها
جيدا وأعرفها وأتمنى التخلص منها.

فكرت كثيرا في رد مناسب، انتظرت لساعات كثيرة حتى
توصلت لصيغة ارتحت لها.

كتبت لأنيا عن رغبتني الشديدة في استمرار تلك الصداقة
الجميلة.. كتبت لها أيضا أنني سأحاول الإصلاح من نفسي،
شكرتها على التوجيه، وجرعة الدعم التي منحني إياها، أخبرتها
أنني لن أنسى الأيام التي قضتها معي، وأنهيت رسالتي بتلك
الأسطمبات التي أحفظها من أيام الثانوية العامة، عندها تذكرت
كلام مدرسي اللغة وهم يقولون لنا تلك الصيغ المكررة التي
توضع في نهاية الخطابات.

لا أعرف لماذا أشعر أنني لم أنته من مرحلة المراهقة هذه،
مازالت أي كلمة من الممكن أن تؤثر على قراري، أتمنى أن تزيد
ثقتي بنفسي في الأيام المقبلة.

أحصل على بعض الكتب التي تخص التنمية البشرية من عادل
الذي جاء بها من عند داليا، تعجب بعض الشيء من طلبي فهو
يعرف أن القراءة ليست هي هوايتي لدرجة أنه قال: أنت ثقافتك
مرئية وبعدين هو أنت بتعرف تقرأ، ضحكت كثيرا، أخذت منه
الكتب وقرأت معظمها الذي يدور حول فلك واحد و هو أن الزن
على الأذن أمر من السحر فما على أي شخص يريد أن يكون
ناجحا إلا أن يقول..أنا أقدر..أنا أستطيع أن أكون ناجحا أو أكون
غنيا أو أكون سعيدا كل منا حسب الرغبة على رأي أساتذة
الطهي، هذا هو ما فهمته من تلك الكتب التي قد يكون لها قصد
آخر ولكني لم أعه حتى الآن.

اسمي أحمد، عندي عشرون سنة، أنا في مشكلة كبيرة. خرجت تلك الكلمات مني مشتتة، حاولت التماسك، أعتقد أنني كنت في حال أفضل قبل أن أدخل هذه العيادة المشنومة، طلب مني الطبيب أن أتمالك نفسي أو أن أحاول أن أتمالكها، جمعت شتاتي وأغقلت عيني بشدة محاولا تصفية الدموع، احمرت عينايا كرد فعل طبيعي لما فعلته، طلب مني الطبيب أن أواصل ما كنت أقوله، طلب مني أن أتكلم وأقول ما أريده وكل ما يخطر على ذهني.

كنا أربعة أصدقاء، أحمد وعادل وخالد وكريم، عادل مات، هذا شيء حقيقي حدث بالفعل.. مشكلتي ليست في أنني أراه بعد وفاته فلا يوجد ميت يعود للحياة مرة أخرى.. أنا لست مريضا بالفصام أنا أعني مشكلتي جيدا ولكني لا أعرف علاجها أو قد أكون أعرف العلاج ولا أستطيع تنفيذه، مشكلتي تكمن في التفكير الزائد في الماضي، لا أستطيع نسيانه أو بمعنى آخر محبوس بداخله، أود تجاوز الدائرة المغلقة التي حبستني الأقدار فيها.. سكت للحظات فابتسم الطبيب ابتسامة مطمئنة وهز رأسه بالإيجاب فأكملت.

قلت لك: عادل مات، مازاد تعبى حقا هو اختفاء خالد.. اختفى خالد في الوقت الذي كنت أحتاج فيه إليه اختفى وتركني أتخبط في ظلام حالك.. بمنتهى الصراحة لم أحاول جديا أن أبحث عنه فأنا ليس فيّ جهد كي أبحث عن أحد، أنا أحتاج لمن يبحث عني ويخرجني من محنتي.

أما كريم فأعتقد أنه انسحب في هدوء، أعتقد أنه لم يشعر بشيء.. كان ينسحب بهدوء وهذا ما فعله الآن، دوره كان يتضاءل حتى انتهى منا فلم ينزعج كثيرا من انسحاب عادل وخالد فقد حصل على استقلاله، تعود كريم في الفترة الأخيرة على عدم وجودهم أما أنا مهما كنت أغيب عنهم فكانت هناك فترات كثيرة نعود مرة أخرى نشترك في مغامرة مجنونة أو طقوس غريبة كالغناء بصوت عال في الشارع، ينظر لك الناس شزرا فلا تهتم، من أهم الدروس التي تعلمتها من عادل.. افعل ما تريده دون النظر للناس.. تناس وجودهم وسيتناسوك.. البس طاقة الإخفاء ودع الفيل يترك علبته مادمت لم ترتكب جرما.

هذا كلام جميل جدا، تعرف كنت أتمنى أن أرى صديقك عادل.. سأخبرك بشيء قاله لي صديق مقرب لي.. الحياة مثل فيلم الرعب عندما تركز في تفاصيله تجدها غير مرعبة أما إذا اغمضت عينيك فإنك ستتحيل ما هو أكثر رعبا من الفيلم.. كل ما أود قوله لك ألا تفكر في الماضي.. على عكس المعروف الماضي ليس سجنا ضيقا، الماضي "قماشته" واسعة جدا ولكنها مفصلة بإحكام.. عليك أن تنظر لكل تفصيلة في ذاكرتك، وتمهد لها مستقبلا لتخرج من هذه المتاهة وتفكر فيما هو جديد.

نظرت لساعتي فسألني إذا كان الحوار مملا فأكدت له أن حوارنا هذا أثر بالإيجاب على نفسيتي.، كنت فعلا محتاجا لهذه الجلسة. لأول مرة أشعر أن قراري صائب، نعم قرار مجيئي للطبيب النفسي كان قرارا صحيحا.. أكدت للدكتور.. صحيحا يا دكتور صحيحا.. خرجت من هذه الجلسة بفوائد كثيرة.. ليس المهم الكلام المهم التنفيذ.. النبش في الماضي لن يفيدك.. عليك أن تنظر للقادم يا أحمد.. عليك أن تخلق مستقبلا.. ولكن كيف؟ هل أبحث عن خالد حتى أجده للخروج من تلك الدائرة اللعينة؟

للخروج من سجن الماضي لا بد أن أخرج من دائرته، وللخروج من هذا الحصار لا بد من إيجاد أحداث جديدة، أي أحداث سيئة كانت أم جيدة، عليّ البحث عن هذه الأحداث مهما كلفني الأمر.

أخذت قراري في هذه اللحظة، أدت السيارة، انطلقت للإسكندرية متمنيا أن تكون توقعاتي صائبة وأجد "خالد"، تعجبت كثيرا وأنا في طريقي، لاحظت أشياء لم ألاحظها من قبل، لا أعرف هذه الأشياء ولكني شعرت أنني غريب في طريق سلكته أكثر من مرة حفظت تضاريسه عن ظهر قلب.. ظهر وقلب.. ما هذا الكلام الذي لا يناسبني!! شعرت أنني بمفردي على الطريق.. ألتفت حولي فلا أجد سيارات، فقط أسمع صوتها.. زادت هذه الحالة في فترتي الأخيرة.. نظرت على جانب الطريق.. وجدته يشير لي ولكنه ليس عادل، ولا حتى خالد.. إنه مهاب.

ركب معي، سألته عن سبب وجوده في مثل هذا المكان فأخبرني أن السيارة التي كان بها تعطلت، تعجبت من عدم وجود سيارات

واقفة في هذا المكان، لم أسأل!! عرضت عليه المساعدة بخبرتي الميكانيكية البسيطة فضحك وقال لي أنه مشى كثيرا حتى ابتعد عن السيارة، لاحظت أنه حاول أن يغير الموضوع.. سألني إذا كنت أبحث عن خالد، تعجبت ثانية، كيف عرف أن "خالد" مختفي؟! سألته فتجاهل سؤالي وقال: تفكر ممكن يكون ما يدور في ذهنك صحيح، تعجبت ثالثا وسألته: أنت تعرف ما يدور في ذهني؟ ابتسم ابتسامة سخرية وطلب مني أن أركز في القيادة تجنباً للحوادث.

طلبت من مهاب النزول معي، طلب البقاء في السيارة، اتجهت إلى الغرفة الصغيرة الموجودة بجانب السلم طرقت بابها، فتح شاب لا أعرفه، سألته عن بكر أخبرني أنه سافر إلى بلده، اشترى أرضا كثيرة واستقر هناك.. سألته عن خالد.. لا يعرفه.. يبدو أن توقعاتي خاطئة، عدم وجود بكر هدم فكري بالكامل.. توقعت أن "بكر" يعرف مكان خالد لكن من الواضح أنه اكتفى بالأموال التي جمعها في غربته وقرر أن يعود إلى بلده ليصبح من أصحاب الأملاك.

عدت إلى السيارة وقد انتابني شعور بالضيق تبدل بالدهشة عندما لم أجد "مهاب" نظرت حولي لم أره لا هنا ولا هناك.. لم أبحث كثيرا لأنني كنت متعبا كما أننا لا نلعب استغماية.. الوقت ليس مناسباً للهو، وقررت العودة والتفكير في مكان آخر محتمل وجود خالد فيه.

زيارة مفاجئة لمهاب أصابتنني بحالة من التوهان، لماذا جاء؟ ولماذا اختفى؟ ما الذي استفاده مما فعله؟ لم يكن صديقي فهذه هي المرة الثانية التي أراه فيها، لسنا أصدقاء ولن نكون فهو لا يشبهني كما أنني غير مؤهل الآن لصداقات جديدة يكفيني ما عندي، على سيرة الصداقات يجب أن أرى "كريم" ثانية فلدي إحساس أنه يعرف معلومة ما ولا يريد إخباري بها فهذه هي عادة كريم منذ أن تعرفت به لا يقول ما لديه إلا في آخر وقت.

قطعت الطريق في وقت قياسي، نظرت في ساعتني ولم يكن لدي ما يشغلني.. وجدتها الثالثة صباحا.. لم أكن في حالة أستطيع فيها أن آخذ قرارا مجنونا، من الصعب أن أذهب لكريم الآن، قررت أن أعود للمنزل للاستراحة قليلا وبعدها أذهب إليه، تدخل إحساسي ثانية، أمسكت بالمحمول واتصلت.. قبل أن أغلق الخط رد كريم وفي صوته بقايا نوم أذهبه الاتصال.

- خير يا أحمد؟ "قالها بصوت يشوبه القلق"

- لازم أشوفك ضروري.

- طيب، نتقابل في الجامع بعد صلاة الفجر.

تعجبت من كريم هذا، فمعاملاته الدينية عبارة عن معاملات تجارية بحتة، يلتزم بجميع الفروض ولا مانع من الذهاب للعمرة مرة في السنة ومن ناحية أخرى له كثير من الآراء الغريبة التي كانت تثير دهشتنا، كان دائما يقول: العلاقة بين الحلال والحرام

نسبية، وكان أحيانا كثيرة يستخدم هذا المنطق ليحلل خطأ معيناً، لا أود أن أقول أن كريم مثل والده يتاجر بالدين، لكنه يحتاج مثلي كثيراً من الوقت حتى يتغير.

عندما دخلت للمسجد شعرت براحة أعرف سببها، مر وقت طويل لم أدخل فيه إلى هذا المكان المريح الذي كان من المفترض أن يكون ملاذي في محنتي، لكنني تطلعت إلى حلول أخرى.

حتى صلاة الجمعة مرت أشهر على آخر صلاة حضرتها، وضعت لنفسي سبباً تافها لعدم الحضور، لا، في الحقيقة لم يكن تافها فقد كان مرعباً بالنسبة لي أن يكون محتوى الخطبة كل أسبوع عن عذاب القبر الذي يتفنن الخطيب في شرحه ويطيل تخويفنا به، تعجبت كثيراً من ذلك الخطيب بدلاً من وصف جنة الخلد و عظمتها وجمالها يتجه لعذاب القبر!! يروي كيف يعذب الكفرة وأكلو الحقوق والمقصرون والمستهزئون؟ كان من الممكن أن أذهب إلى مسجد آخر ولكني أخذت الحل الأسهل فامتنعت عن الذهاب إلى مسجد، كنت أتمنى أن يدخل في حياتي من يوجهني أو يرشدني لخير أفعله أو منهج أسير عليه، لكن لم يدخل هذا الشخص لحياتي حتى الآن.

أعتقد أن بداخلي شخصاً منقاداً أو بمعنى أدق يحب أن يكون منقاداً. في فترة من الفترات فعل خالد ذلك معي وأنا وعادل، ولكن عادل استاء من هذا التصرف فدفعني معه لكي نرفض ما يقوله خالد، أي أنني كنت مدفوعاً للرفض أيضاً.. عندما أخذنا رد الفعل

هذا ابتعد عنا خالد لفترة حتى استطعنا أن نجذبه إلينا مرة أخرى
وعدنا معا ثانية.

بداخل كل شخص منا ضمير، قد يؤلمنا عندما نخطئ، قد يؤلمنا
كثيرا عندما نخطئ كثيرا وقد لا يؤلمنا عندما نستمر في
أخطائنا.. كان عادل ضميرا حيا لي أنا وخالد ولكنه أحيانا كان
يصمت ويقترف الخطأ نفسه معنا، أحيانا أخرى يجعلني أستيقظ
لأعلن التمرد أنا الآخر، فيستسلم خالد. بموت عادل مات ضميري
اليقظ الذي كان يرافقني دائما، والطريق الآن مفتوح وواسع ولا
أحد يدري في أي طريق يمشي.

تهت في خواطري واستغرقت في أفكاري، أفقت من هذه
الخواطر عند نهاية الصلاة.. كل ما أعرفه أن هذه الخواطر
اللعينة أخذتني من الصلاة فلم أفعل شيئا إلا تقليد المصلين
كالطفل الذي يذهب مع والده إلى المسجد لأول مرة، لا أعرف
لماذا تشغلني هذه الهواجس لهذا الحد؟ هل أصبحت كل حياتي؟
كل ما أتمناه الآن هو أن تنتهي هذه القصة كلها، بخير أو شر،
هذا أمر غير مهم، المهم حقا هو أن تنتهي هذه القصة.

يسود صمت للحظات، أنا عارف مكان خالد.. لكنه لا يريد أن
يعرف أحد مكانه.. عموما إنت يجب أن تكون معه الآن.. تطلعت
بأمل، أنا وخالد الآن في مركب واحد، كلانا يستطيع إخراج
الآخر من تلك الحالة النفسية السيئة.

- فين.
- عند شيخ عارف ربنا، أنا ضامنہ.. اسمه الشيخ شمس، هوصفك عنوانه بالظبط.
- طيب ليه مش عايز يقعد في البيت.
- مخنوق.. وأنا قلت إن ده وقت الشيخ شمس.. هو ده اللي هيهديه.
- الشيخ شمس ده اللي أنت بتاخذ منه الفتاوي بتاعتك.

هز رأسه بالإيجاب فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل.

طوال الطريق أحاول أن أزيل مخاوفي، أخذتني الشكوك في النهاية إلى أن "خالد" أصبح عضوا عاملا في جماعة دينية تحارب من تراهم أعداء الله وتعاقبهم عقاب المفسدين في الأرض.

رائحة البخور منتشرة في المكان.. جلست على كنبه صغيرة في حجرة أشبه بالقبر، دخل الشيخ شمس وفي يده كوب تيليو.. سألته عن خالد، أخبرني بأنه لا يريد مقابلة أحد، أصررت على مقابلته. قال: حسنا ربما تحدث الهداية وتستيقظ الضمائر الغائبة وتصبح الأفتدة على الطاعة دائبة وتصفى النفوس الشائبة بالأمراض المستذئبة وأهديك.. سكت قليلا يبدو أنه يفكر في كلمة يغلق بها شعره الحديث فقلت ضاحكا في وقت لا يفيد فيه الضحك على ما أراه.. من فضلك امنحني هذه الهبة.. نظر لي شزرا، فلم أهتم، كل ما أهتم به الآن هو مقابلة خالد فالبداية لا تبشر بخير.

تأكدت ظنوني عندما رأيت "خالد" وقد ارتدى جلبابا أبيض قصيرا.. وقد أمسك كتابا غريب الشكل يقرأ فيه. ما أن انتبه لوجودي حتى قام واحتضنني في قوة وهو يقول: حان وقت التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح يا صديقي.

خرجت من عند خالد في أسوأ حال، هل هذا شديد الرغبة الذي عرفته من سنين؟! الآن يحدثني عن دنيا زائلة وجهاد واجب. قال لي: إن الحل الأمثل الآن هو محاربة ذلك الفساد الذي انحدر الناس إليه وسحبونا معهم، لم أرد، في الحقيقة هو لم يعطني وقتا للرد. كنت أود التحدث معه عن عادل.. هو لم يتحدث عنه قط كأنه نسيه أو أنه لم يكن له أي وجود من الأساس، رغبت في العودة لكريم لأسأله لماذا فعل ذلك مع خالد؟ لماذا أخذه لهذا الشيخ الغريب الأطوار؟ وكيف لم يتأثر بهذا الشيخ رغم معرفته الطويلة به؟ أفأقتني من أفكار لعنات عابري الشارع، كدت أدهسهم.. وصلت لمحل العطارة الضخم الذي يملكه والد كريم.. قبل أن أفتح مع كريم أي موضوع، وجدته يمسكني من كتفي ويأخذني إلى خارج المحل.

- تعالى نتكلم في البيت.

أغلق كريم باب الغرفة، جلس على كرسي مواجه لي كأنه يدري أن بيننا حوارا طويلا.

- ليه كده يا كريم!؟

- هو ده كان أحسن حل، خالد كان محتاج يكون كده في الفترة اللي جايه، وأنت كمان على فكرة.

- وأنا كمان أياه.. إنت حرفي نفسك بس.. إنما مش من
حقك تتدخل في مصير الآخرين.

- لأ، أنا خط أحمر أبويا حذر الناس دي من أنهم يقربوا
مني دول بياخدوا من أبويا فلوس قد كده على إنها زكاة.

سكت وقمت من مكاني، تذكرت أن أغلب كلام كريم عبارة عن
جدل عقيم، داريت ضحكة استهجانية وتذكرت ذلك الشيخ غريب
الأطوار.. خرجت من منزل كريم وقد عرفت أنني خسرت كل
أصدقائي وأصبحت وحيدا.

بدأت أشعر أن رأسي فارغ ومزدحم بأفكار عشوائية في الوقت نفسه.. ماذا أريد؟ كل ما أعرفه أنني تعبت، تعبت من تفكير عقيم في ماضٍ لن يتغير ومن التفكير في مستقبل مبهم لا أستطيع أن أدخله، حينها عرفت أنني سرت وسأسير منقادا طوال حياتي، كل ما علي هو انتظار ماذا سيحدث؟ ليس علي التفكير في أي شيء، فالتفكير لمثل من هم في حالتي متعب على كل حال. قطعت خواطري المشتتة داليا باتصالها، تعجبت من اتصالها في مثل هذا الوقت.. نظرت لساعتي فوجدتها التاسعة والنصف، أخبرتني بأنها في النادي فسألتها عن سبب وجودها في مثل هذا الوقت، أخبرتني أنها تجري هناك وقالت أيضا إنها ستخبرني بكل شيء عندما أذهب لكي أقابلها، لم أجادلها كثيرا فلم أكن أستطيع أن أكون طبيعيا أكثر من ذلك.. أخبرتها بأنني قادم حالا، ما أن أنهيت المحادثة حتى بدأت في البكاء، في قمة دهشتي من نفسي لم أكن بهذه الحساسية من قبل.. هل أثر في موت عادل لهذه الدرجة؟ لدرجة أنني كلما تذكرته أبكي، بكيت في حياتي مرات معدودة مثل أي إنسان طبيعي، تقريبا وإذا لم تخدعني ذاكرتي ثلاث مرات والآن الرابعة. الثانية عند وفاة عم كمال، وضعي كله حينها كان سيئا والموقف نفسه أسوأ.. المرة الأولى كانت بسبب الخوف

والثالثة بسبب وفاتك يا عادل؁ موعد داليا كدت أنساه.. قمت مسرعا حتى أصل في وقت مناسب.

جرينا معا وبالطبع لم تسعفني لياقتي المنهكة في الجري لفترة أكثر من ربع الساعة بينما ظلت داليا في كامل لياقتها وقادرة على الاستمرار؁ شعرت بحرج فأمسكت ببطني مدعيا المغص؁ نظرت في عينيها وجدت قافقا قد ظهر فيهما؁ طمأنتها؁ الوجع بسيط؁ طلبت مني أن نستريح قليلا فوافقنا دون تردد؁ بدأنا نتحدث وكان مدار حديثنا كله عن عادل؁ بعد مرور بعض الوقت وجهت داليا نظري لملحوظة تضايقتني وهي أن كلامنا كله عن عادل فقلت إنني أعرف هذا جيدا ولكني أحب الكلام عن صديقي الذي لن أنساه سواء تكلمنا عنه أم لم نتكلم؁ عندها سكتت داليا قليلا ثم قالت بعد وقت من التفكير: أنا أذهب لطبيب نفسي نصحني بنسيان الماضي وبدء مستقبل جديد أصنعه بنفسي؁ ابتسمت؁ أخبرتها بأنني أيضا أذهب لطبيب نفسي ونصحني بالكلام نفسه؁ يبدو أننا نذهب لطبيب واحد؁ دُهِشت؁ قالت: تبدو متماسكا فرددت: أنا فقط أبين ذلك ولكن داخلي وجع صعب علاجه.. إن من يكتم آلامه في داخله يتعب أكثر من الشخص الشكاه.

تحاول أن تبدو كاملا يا أحمد؁ تعجبت من كلامها فأنا آخر شخص من الممكن أن يفتع نفسه بهذا الكلام؁ دائما أشعر بالنقص.. عقدة لا أجد لها حلا لأنها كبرت معي؁ أصبحت جزءا من شخصيتي؁ شعرت بنقص عندما رأيت "خالد".. وجدته صريحا جدا؁ ما يريد يفعله ولا يخجل من إظهار احتياجاته الجنسية وطلب الأنثى مهما كانت حالتها.. فتاة.. أرملة.. مطلقه..

حسدت عادل عندما رأيته معك، كنت أتمني أن أكون مكانه، أفرح عندما تتشاجران وتزداد سعادتني عندما تتصلي به ولا يرد عليك، يظهر جرح داخلي عندي عندما تتصالحان وتعودان أفضل من ذي قبل، حقدت على كريم لأن والده غني وتمنيت في لحظات أن تتبادل الأدوار أكون أنا هو وهو أنا، لكن رغم ذلك ظل لكل منهم عيوبه الشديدة التي ظهرت نتيجة وجود تلك المميزات التي شدتني لهم، فخالد شديد الرغبة هذا لا يتهاون في فعل أي شيء حتى يحقق رغباته اللعينة، عادل عندما يثور لا يستطيع أحد إيقافه.. عصبي جدا.. وهناك عيب آخر أكثر خطورة من تلك العصبية، بعد أن تطلب منه شيئا أو تقترح عليه اقتراحا ويوافق عليه يبدأ في التفكير في طريقة ليصرفك عما تريد بعد أن يوافق ويوفر لك سبل تحقيق اقتراحك، كريم له آرائه التي تحلل وتحرم، لا يخجل من حصوله على فتوى من شيخ مرتزق يغفل أنه إذا صلح الباطن صلح الظاهر، كريم الذي يمتلك والده رجالا مدعي علم لا هم لهم إلا المال. يريدون أن يحصلوا عليه بأي طريقة.. أرصدة في البنوك وعمارات شاهقة.. أبراج تلامس السحاب.. بنوك بفوائد متغيرة، يشارك في مشروعات على المكسب فقط فهو لم يعرف الخسارة وكيف يخسر وهو بركة المشروع والنبراس الخفي الذي يمنحهم المصداقية لدى الناس.

ما كل ذلك؟ ما هذه الأفكار التجريدية التي آتتني فجأة؟ انتبهت أنني لم أتكلم لمدة طويلة وأن داليا تنظر لي بدهشة، أنا متأكد أن كل هذه خواطر بداخلي لم تخرج للنور فأنا متأكد أنني لم أفكر بصوت عال، نعم لم أصل لهذا الحالة التي أقول فيها أي كلام

دون أن أفكر، من يفعل هذا هم التلقائيون وأنا لم أكن واحدا منهم..

لن أكون عادل ياداليا، صممت فترة قبل أن ترد ثم قالت: وأنا لم أطلب منك ذلك يا أحمد أنا أريدك هكذا، لا تتغير و لا تصبح آخر، فقط ابقَ كما أنت، هذا هو ما أريده منك وأنا لا أطلب المستحيل.. أنا لن أنسى عادل ولن أنسى أيامنا معا، ولكن قدر موقفي أنا مريضة ووجودك بجانبني يجعلني أشعر باستقرار نفسي.. وجودك يعطيني أملا في المستقبل يذكرني بعادل.. أرجوك قف بجانبني، اجعل لي أملا في هذه الحياة.

داليا، أود أن أساعدك لكن وجودي كبديل لا ينفع كما أنني لم أدخل في أي علاقات مثل هذه من قبل وأخاف من الفشل لأننا تسرعنا. جملتي الأخيرة تثير الضحك نصفها الأول كاذب لقد دخلت في كثير من العلاقات والنصف الثاني صحيح فأنا لم أدخل في علاقات مع فتيات أبدا. نشاطي كله كان مع الأرامل والمطلقات. أرامل ومطلقات ما كل هذا الجمع من يقرأ ذلك يظن الظنون، كلهم ثلاث أو أربع علاقات أهمهم وأكثرهم وقتا هي مديحة، العلاقات الأخرى كانت تنتهي بسرعة، منهن من كانت تخاف من كلام الناس إذا تم كشف هذه العلاقة أو من تود إنهاء هذه العلاقة بسرعة خوفا من عواقب وخيمة.

ما أقصده من كلامي أنني لم أحرص فتاة على نفسها أبدا ولم أكن العشيق الخفي لزوجة تشعر بالاشمئزاز من زوجها الذي لا يغسل

أسنانه قبل أن يقبلها، الأدوار المبتذلة كان خالد يفضلها وكانت هذه من أبرز عيوبه التي كانت تجعلني أحيانا أشعر بنفور منه.
أي تسرع تقصد قد نكون الآن ضعفاء ولكننا لسنا متسرعين.. نحن في حاجة لقرار، هذا هو كل ما نحتاجه يا أحمد.. قرار وهذا القرار سيكون مصيري بالنسبة لي ولك.

أنت قلتها بنفسك يا داليا ضعفاء، والتسرع ينتج عن الضعف وأنت عارفة أن الضعيف يتسرع في أخذ قراره وهذا الضعف ينتج من الخوف، الخوف هو النقطة الثالثة التي نصلها بالضعف والتسرع لينتج لنا مثلث أضلاعه الخوف والضعف والتسرع.

أحمد نحن لسنا في حصة رياضيات، الوضع لا يحتمل أي تأخير، أنا واثقة من أن عادل لو كان موجودا ووجدني بهذا الضعف لنفذ لي أي شيء أطلبه مهما كان الثمن.. عارف لما كنت أجري كنت أتمنى ألا يخلص "التراك" أفضل أجري لآخر العالم.. لأخري أنا.. لغاية ما أقع وأنتهي وتخلص كل الحكايات الكابوسية التي وجدت روعي فيها، أنا متعبة أشعر بعدم الاتزان، أتمنى أن أعود مثلما كنت.. أحمد.. أنت تفهم ما أريده.

يبدو أن الوضع لا يحتمل فعلا، داليا حالتها تسوء أمامي وربما تهدد بالانتحار، عليّ أن أجاريها حتى تتحسن حالتها أو حتى أستشير طبيبي النفسي، فأنا لا أقدر على اتخاذ أي قرار الآن.

عندما نظرت داليا شعرت فعلا أن حالتها تتدهور بسرعة وعليّ أن أنقذها، في هذه اللحظة خرجت من بين شفقتي كلمة موافق،

ظهرت على وجه داليا ابتسامة أمل.. طمأنتها.. لن أتركك يا داليا
ستجديني متى تحتاجين إليّ.

عدت للبيت وأنا مرهق جدا لدرجة أنني نمت دون أن أبدل
ثيابي، رأيت أحلاما كثيرة قد تكون من تأثير المهدئات التي
أتناولها، خيالات في عقلي الباطن قد تحتاج إلى الظهور للنور،
أي نور في هذا العالم السفلي الذي أغطس فيه كلما غفلت
عيناى.. أسمع أصواتا كثيرة لعادل وخالد وكريم وداليا ومهاب
ومديحة.. يظهر والداي من بعيد، يجريان بسرعة في اتجاهي،
يصطدمان بي، يمران من فوقى كأني "عمل واتعلمهم" .. كأني
غبار لحريق انتهى.

أستيقظ فجأة غير مدرك لما رأيته، أحتاج لبعض الوقت للتصالح
مع نفسي ومع من حولي، أتذكر الحلم الناقص الذي رأيته..
حياتي مثل الميكانو.. Me.. كانوا.. طفل صغير غير مدرك ماذا
يفعل؟ يلعب به فيصنع شيئا غريب الشكل، يبدأ في فصل الأجزاء
عن بعضها، يحاول مرة أخرى فيفشل يحاول فيفشل هكذا حتى
يشعر بالملل فيترك القطع وقد بدأت في صنع شكل لم يكتمل.
تأتي أشباح غريبة تفك وتركب، تفك الولد الصغير الآلي وتركبه
من جديد.. أشباح كئيبة تنبح وتعوي وهي منهمة في لعبة تفكيكي
وتركيبي، حلم.. أراه وأتناساه لكي أصنعه في غيبوبة اليقظة.

قمت من مكاني في تكاسل نتج عن إرهاق أصابني قبل حادثة عادل بقليل، فكرت للحظات في الموقف كله، عادل مات وخالد تاه وكريم غير أمين معي ويظن أنه يصلح واقعا خربناه نحن الثلاثة وهو يرى أن هذا انتقام رباني لما فعلناه في حياتنا القصيرة.

داليا مثلي مريضة نفسيا ومع كل دقيقة تمر حالتنا تسوء أكثر، أتمنى أن آخذ دوري أنا الآخر في إصلاح الواقع، قد تسبق العرجاء.. جملة كانت تقولها أُمي زمان لتشجعي بها.. وكنت أشعر حينها إني إنسان كسيح.

أقضي بقية اليوم في هدوء مصطنع.. أشعر بصداع شديد.. أبحث عن دواء. تقع يدي على الدواء الذي أعطته لي أنيا عندما أتت إلى مصر، أنظر لتاريخ الصلاحية فأجده ممتدا لأكثر من أربعة أشهر.. آخذ قرصا واحدا.. يمر بعض الوقت فلا أشعر بتحسن، آخذ قرصا آخر فأشعر ببعض الراحة وأذهب في النوم.

والداي يخفتان ثم يأتیان من بعيد ثانية وأصوات الأشخاص الذين عرفتهم طوال حياتي تقترب حتى يظهر أصحابها ويقومون بعمل دائرة حولي فيمنعون وصول والدي إلي.. يحاول أبي جاهدا أن يدخل في وسط هذه الدائرة ولكنهم يتشبثون ببعضهم بقوة.. أحاول أن أتحرك وأن أتجه لوالدي فأفشل وتنتابني حالة من الذعر والفرع.

في اليوم التالي استيقظت مبكرا، سألت نفسي كثيرا عن عدم ذهابي لعادل، لم أصب بلوثة بعد ولكن هذه الفكرة في ذهني منذ وفاة عادل ولم أنفذها.

جلست بجانب قبر عادل، حاولت أن أتمالك نفسي فلم أستطع، بكيت كثيرا كمن لم يبك طوال حياته، ارتفعت آهاتي حتى ظننت أنها وصلت للسماء من هول قوتها.. استمرت جلستي هذه طوال اليوم، غابت الشمس وحل الظلام.. لم أكن أتوقع أن يسرقني الوقت هكذا، هممت بالقيام عندها سمعت صوتا غير غريب علي يقول، اتأخرت جدا في مجيئك لعادل.. نعم عرفت الصوت إنه صوت مهاب، غريبة أعتقد أن مهاب لا يعرف عادل ولكن ربما أخبره خالد عنه، اقتنعت بهذا التفسير رغم أن خالد لا تربطه صداقة بمهاب، لم يجلسا معا أكثر من نصف ساعة، وأنا لم أر مهاب إلا مرتين الأولى كانت أثناء جلسته الوحيدة مع خالد والثانية عندما كنت أبحث عن خالد.

لماذا لا ترد؟ هل تبحث عن إجابة؟ أنت نسيت عادل ولم يعد يهملك، عفوا فأنت لست وحدك فخالد أيضا نسي عادل، يبدو أنكم لم تكونوا أصدقاء بمعنى الكلمة.

ابتسمت ساخرا، أعطيته ظهري فأصبحت مواجهها لقبر عادل، أنا لن أنسى عادل أبدا فقد كان أخلص صديق لي.

واضح بدليل ما تفعله الآن مع حبيبته داليا، واضح جدا أثر الصداقة، لقد صدقتك، كفاك تمثيلا أنت لست حزيننا على عادل كما تظهر، كل ما تفعله الآن من أجل أن تفوز بداليا.

تعرف داليا أيضا.. من الواضح أنك لا تعرف شيئا على الإطلاق.. كل ما تعرفه هو بعض الأسماء فقط.. ولكني أود أن أسألك.. ماذا تريد مني؟

الوقت تأخر، هل ستمشي أم ستظل هنا، أنا أحذرك من البقاء، النوم بين القبور سيأتي لك بأضعاف ما تراه في أحلامك.

لماذا تتجاهلني؟ من أين تعرف هذه المعلومات عني؟ كيف تعرف داليا؟ المدهش أكثر أنك تعرف أحلامي الناقصة أو بمعنى أدق، حلمي غير المكتمل.. كيف تعرف كل هذا؟!!

لم يرد أحد نظرت ورائي فلم أجده، في هذه اللحظة شعرت بالخوف، جريت بأقصى سرعة لي، تعثرت، قمت بسرعة لأواصل الجري، حتى ابتعدت عن القبور.

من الواضح أن "مهاب" هذا يتعقبني.. يجب أن أعرف سبب هذه المراقبة وكيف وصل لأحلامي، أنا لست في فيلم رعب أو خيال علمي، في هذه الحياة كل شيء يخضع للمنطق.. للحسابات.. إذن ماذا يحدث؟ هذا شيء غير طبيعي يثير قلقي وخوفي.. رغم ذهابي لزيارة عادل فأني لم أشعر براحة نفسية.. كأن ذهابي كان لتأدية واجب وهذا غير صحيح، فأنا كنت أتمنى أن أرتاح وأستقر نفسيا، قررت الذهاب ثانية في الغد لسببين: الأول هو الحصول على تلك الراحة النفسية التي ضلت طريقها قبل أن تصلني.. والثاني هو شغفي لرؤية مهاب.. أتمنى أن أراه.. أتمنى أن أعرف كل التفاصيل.. لن أتركه حتى أعرف ما أريده.

جلست لثلاث ساعات يائسا فمهاب لم يظهر بعد ولا الراحة النفسية أتت، قررت أن أعود للبيت فقد أصابني شعور وسط بين الخوف والحيرة والملل، شعور غريب لم يصيبني من قبل.. غيرت رأيي وقررت أن أنتظر نصف ساعة أخرى.

والذي يحاول أن يخترق تلك الدائرة اللعينة ليصل إليّ ولكنهم يحكمون إغلاقها.. وأنا غير قادر على الحركة وأشعر أنني كالمشلول رغم استطاعتي الوقوف في مكاني.. تخنفي تفاصيل الوجوه.. تخنفي الملامح وتبقى الأجساد، تبدأ الدائرة تضيق، والدتي تبكي وتصرخ ووالدي يحاول محاولات يائسة وأنا لم أستطع التحرك بعد.

استيقظت مفزوعا.. الحلم هذه المرة أطول من سابقه وبتفاصيل أدق، قررت المغادرة فورا والعودة للمنزل فحالتني النفسية ليست محتاجة أن تتدهور أكثر.. عليّ أن أبقى في المنزل حتى موعد جلستي القادمة مع طبيبي النفسي.

الوقت يمر ببطء أو هكذا أشعر.. فقدت القدرة على الإحساس بالوقت، قبل فترة كنت أستغل كل دقيقة في وقتي أما الآن فلا أتحرك إلا دقائق قليلة، أشعر أن جسمي في حالة شلل وعضلاتي متيبسة.. فكرت في شيء أفعله بعيدا عن هذه الأجواء الكئيبة، ارتديت ثيابي ونزلت.

على حسب وصف ياسر فهو يسكن هنا، طرقت الباب لأن الجرس لا يعمل.. فتحت لي والدة ياسر فذكرتها بنفسى.. رحبت بي ودعتني للدخول، سألتها عن ياسر فأخبرتني أنه يلعب كرة في الشارع.. أستأذنها في أن أنزل إليه لأطمئن عليه، لم توافق وقالت: إنه أصبح بخير والدليل على ذلك أنه ذهب ليلعب، أصررت على رؤيته، ظهرت عليها آثار ضيق، فذهبت للشباك ونادت بصوت عال على طفل يدعى محمد ليأتي بياسر الذي يلعب كرة في الشارع المجاور.

سلم عليّ ياسر بحرارة، بدا عليه الإرهاق، أخبرني أنه يلعب مع أصدقائه كل يوم ساعتين متتاليتين.. تكلمنا قليلا فظهر لي عشقه الشديد لكرة القدم، سألته إذا كان يلعب في أحد النوادي فظهر عليه الحزن وأخبرني أن أمنية حياته أن يلعب في الأهلي.

ياه.. الأهلي مرة واحدة.. طيب حاول تبدأ باللعب في نادي صغير.. حاول تثبت نفسك لتستحق ما ستصل إليه.

حاولت وفشلت، ذهبت مع والدي لنادي درجة ثانية ولم يقبلوني!! لا بد من واسطة.

معقول.. حتى أندية الدرجة الثانية، لا بد أنك لا تجيد اللعبة.

أبدا.. أنا مثل كثير من أصدقائي لا ينقصنا إلا الواسطة.

سكت قليلا، أخبرته بأني سأحاول مساعدته، نظرت والدته لي بشك.. اختلست نظرة سريعة لعينيها القلقة، هل هذه المجنونة تعتقد أني سأخطف ولدها مثلا؟ نظرت لياسر ثانية فوجدت سعادة

قد ظهرت على وجهه، طلب مني وعدا بأن أساعده، وعدته رغم قلة حيلتي إلا أنني عرضت المساعدة كنوع من إحياء الأمل له.

استمتعت جدا بالوقت الذي قضيته مع ياسر، على طبيعته كأبي طفل نقي لم تلوثه الحياة بعد، تذكرت نفسي عندما كنت في مثل سنه، كنت متفوقا ومجتهدا في دراستي، لم تكن لي هوايات فهوري الوحيدة كانت المذاكرة.. كنت الأول على فصلي لثلاث سنوات متتالية آخرهم الصف الثالث الابتدائي لم يكن لي أصدقاء حتى ذلك الوقت.. أتذكر تلك الحادثة التي حصلت لي بعد ظهور النتيجة.. وليد صاحب المركز الثاني الذي رأيت في عينيه شيئا لم أكن أعرفه بعد.. في اليوم الذي كرمت في المدرسة مع المتفوقين. أسرعت في خطواتي للذهاب للمنزل حتى ترى والدتي نتيجة جهودها معي.. في هذا اليوم تبغني وليد ومع كلب لا أعرف من أين أتى به؟ بعد لحظات سمعته يناديني.. نظرت ورائي لأجد وليد يشير لي ثم أشار للكلب بأن يجري ورائي، جريت بأقصى سرعة لي لكن الكلب كان أسرع، لعبت معه لعبة القط والفأر، أخفتي خلف إحدى السيارات ولكن هذا الكلب السخيف ينجح في معرفة مكاني فأجري ثانية، تعجبت من إصراره على اللحاق بي كأن بيني وبينه عداوة شخصية.. وقفت وقد استند ظهري للحائط، شعرت بدموعي تنساب رغما عني، كانت هذه هي أول مرة أبكي فيها، وقف الكلب يبنح أمامي وقد أدى مهمته بنجاح وحاصرني في هذا المكان واستطاع أن يبيت رعبا في نفسي، أتذكر جيدا في ذلك الوقت أنني تلقيت أنواع الإهانة والضرب المختلفة من وليد، وقفت مشلولا غير مستطيع

الدفاع عن نفسي، عرفت يومها معنى الحقد وكيف تسيطر على الإنسان أحيانا رغبة في الانتقام؟! ترك في هذا الحدث ثاني أسوأ وقع على نفسي.. في السنة التالية عندما تعرفت على أصدقائي حاولت أن أستغل ذلك للانتقام، طلبت منهم مساعدتي في تلقينه درسا فوافقوا ولكن عادل بعد ذلك رفض رفضا قاطعا وطلب منا ألا نؤذي وليد حتى لا نقترف خطأ فعله وليد قبلنا عندما ترك الغيرة تسيطر عليه وطلب مني أن أنسى ذلك عندها شعرت بعدم قدرتي على أخذ حقي ورغم امتثالي لأوامر عادل فمازلت لدي رغبة في مواجهة وليد وضربه حتى أشعر براحة داخلية.

لا أعلم لماذا تذكرت هذا الموقف الآن لأنني لا أريد أن تكون قلة الحيلة والعجز هو الشعور الذي يسيطر على ياسر، ربما وضعتني الظروف في طريقه حتى أساعده، سأحاول ربما أنجح، أخذ مني رقم موبايلي وأخبرني أنه سيتصل بي ليذكرني بوعدي، لم أتردد وأعطيته رقم الموبايل.. اتصلت داليا بي.. أخبرتني بأنها تجري كل يوم في النادي.. عرضت علي أن أتمرن معها فرحبت بذلك.

ظهر ما لم أكن أريده، لياقتي الضعيفة جدا مرة أخرى، كنت أجري ربع ساعة وأستريح مثلها.. لم ترهقتي داليا بالعكس كانت تحرص على ألا أشعر بأي تعب فتعرض علي أن نستريح بعد مدة قليلة.. أخبرتها بأنني إذا كنت عبئا عليها في تربياتها فلن آتي ثانية فحزنت من كلامي، قالت: أنا خائفة على نفسي.. أخبرها طبيبها النفسي أن الرياضة مهمة جدا في تحسين الحالة النفسية، قطع الحوار بيننا صوت مشاجرة فسألت داليا عن سببها.. عادي

جدا.. هناك كثير من الزائرين للنادي يودون استخدام الملعب.. والملعب لا يستخدم إلا من قبل الأعضاء فقط، تعجبت فأنا لست عضوا في هذا المكان، طوال حياتي أدخل مع عادل أو كريم ولكننا لا نستخدم الملاعب كما إننا لا نمارس أي نشاط رياضي، فليس فينا صحة للجري واللعب، سألتها عن كيفية وجودي في مكان ليس مسموحا لي بالوجود فيه.. ضحكت فلاحظت أن ضحكتها هذه المرة صافية جدا كنعيمات قيثارة حزينة "لا أعرف من أين سمعت هذه الكلمة ربما من أحد البرامج التلفزيونية المملة".. أخبرتني أن والدها محامي وعضو مجلس إدارة في النادي كما أنها لاعبة التنس الأولى.. هي التي تمثل النادي في جميع البطولات الداخلية.. لم تسافر لتمثيله في الخارج لأنها تخاف من ركوب الطائرات.. عندما قالت لي هذا كله تذكرت ياسر، طلبت من داليا أن تتوسط لياسر في فريق الكرة الخاص بالنادي، وافقت دون تردد، تعجبت أنها لم تسألني عن مستواه في اللعبة، أخبرتها بتساؤلي فقالت إنها ستضعه على أول الطريق وعليه أن يكمل بمفرده فإذا كان موهوبا سيصبح من الأساسيين في فرق الناشئين وإذا لم يكن فستكون هي قد أدت ما عليها ونفذت طلبي.. شكرتها كثيرا.. طلبت ياسر وقلت له أن يأتي هو ووالده الآن، فرح فرحا شديدا، اتصلت داليا بالمدرّب الذي كان مازال نائما في منزله، بعد ساعة ونصف بالضبط كان ياسر يستلم الزي الخاص بالنادي وحذاء رياضيا خاصا به وكرانيه يسمح له بدخول النادي في أيام التدريب، أعطاه المدرّب بعض التوجيهات ثم انصرف، شكرني ياسر كثيرا، نظر والده لي نظرة امتنان..

ابتسم.. تعرف والدة ياسر حذرنا من المجيء.. لا أعرف لماذا تخاف منك؟ تقول إنك تجلب المصائب.. ضحكت كثيرا على هذه الجملة، اعتذر والده، قال لي: أنه لا يقصد وأنه نقل الكلام حرفيا دون تحريف، ولا يهملك فهي معذورة تخاف على ولدها كما أننا التقينا في المرة الأولى في ظروف سيئة، تركت ياسر الذي كاد يبكي من شدة فرحته، ظهرت سعادة على وجه داليا، أخبرتني أنها سعيدة جدا لأنها نفذت أول طلب لي كما أنها سعيدة لأنها أسعدت ياسر.. تركتها بعد أن اتفقنا على الجري غدا.. كانت معنوياتي في هذه اللحظة في السماء.. نسيت كل مشاكلني عندما ساعدت ياسر، في هذه اللحظة فكرت أن أشارك في العمل التطوعي في إحدى الجمعيات الخيرية.. قبل أن أمشي سألت داليا عن مواعيد تدريباتها ومواعيد تدريبات ياسر، أخبرتني بالمواعيد، قررت أن أذهب لمشاهدتها ومشاهدة ياسر أحيانا، يجب علي الاقتراب من ياسر أكثر فإن هذا الولد سيكون سر تحسن حالتي النفسية وعلاجي سيكون مقترنا بقربي منه.

تعجبت من سرعة الأحداث.. بالأمس يطلب مني ياسر أن أساعده واليوم أساعده فعلا، غريبة هذه الدنيا، تكون حياتنا مزدحمة بالأحداث في بعض الوقت وأوقات أخرى لا نجد ما نفعله.. هناك لحظات مملة يمر فيها الوقت ببطء مثل أوقات انتظارنا للنوم أو في أوقات الانتظار عموما و في اللحظات السيئة ودقائق الفشل، كم يكون ذلك مزعجا!!

كل ما أتمناه الآن هو راحتي النفسية على حساب أي شيء آخر..
تعجبت من نفسي لماذا أقول هذا الكلام؟ هل مهاب عنده حق؟ لا.
لا أقول هذا حتى أجد مبررا لكل فعل أقوم به، حتى الآن لم
أخطئ في حق عادل.. ولكني لا أريد أن يكون كلامي هذا هو
جواز مروري لعالم الأخطاء، فعادل مثل أخي، لا بل هو أخي
فعلا، أخي الذي لم تتجبه والدتي فعشت وحيدا في هذه الحياة حتى
وجدت أصدقائي الذين تركوني الآن، لا أعرف على من يقع
اللوم.. علينا أم على تلك الحياة التي لم تمنحنا إلا اختيارات قليلة
جدا ولا مجال للإجابة إلا بالخيارات المتاحة، طوال حياتي أسئلة
الاختيار من متعدد تمثل لي عبئا نفسيا كبيرا أشعر أن هناك أكثر
من اختيار صحيح وليس من ضمن الاختيارات كل ماسبق..
دائرة ضيقة جدا مثل ثقب الإبرة، كنت أذاكر جيدا ولكني كنت
أنسى كثيرا، لم تلازمني حالة النسيان هذه منذ صغري، بدأت مع
دخولي للمرحلة الثانوية فأثرت على نتيجتي.. تفاوت مستوانا
نحن الأربعة، دخل خالد تجارة، عادل حاسبات، كريم هندسة
خاصة، أحمد حقوق، عادت لي عقدة النقص التي لم تفارقني
أصلا، أصبحت أقلهم بعدما كنت أكثرهم تفوقا.. أعتقد أن هذا
كان أحد العوامل المؤثرة على نفسياتي ولهذا كنت أشعر أحيانا
بنفور منهم ربما بسبب حقد يأتيني من أن لآخر.

عموما لقد افترقنا نحن الأربعة ولا مجال لحبس النفس في سجن
الماضي، فكر في الإيجابيات أو في مستقبل جيد قد يأتي، أتمنى
أن يأتي ولا أنتظره كثيرا فما أصعب لحظات الانتظار.

كانت أسوأ أجازة تمر عليّ، لا أحب أجازة نصف السنة، أشعر أنها قصيرة وكمن رقصت على السلالم فهي ليست قصيرة جدا كأجازة الأعياد ولا كبيرة كأجازة آخر العام، قررت أن أرمي كل ما حدث وراء ظهري حتى أدخل "الترم" الثاني وأنا محتفظ ببعض لياقتي التي استنفدتها تلك الأحداث المؤسفة.

بدأت الدراسة، انتظم الإيقاع أخيرا بين الكلية والذهاب للنادي مع داليا ومشاهدة بعض التمارين لها ولياسر و مراسلة أنيا والذهاب للطبيب النفسي، الحمد لله لم يحدث حتى هذه اللحظة ما يزعجني، أو من كثيرا بالإشارات القدرية وأحب جدا أن تظهر في حياتي، كم من يوم قال فيه شخص لآخر، ربنا يوفقك أو ما شابه من هذه الأدعية وتصل لمسامعي فأؤكد لنفسي أن لي نصيبا فيها، تذكرت هذا الموضوع لأنني بالأمس ركبت المترو، السيارة كانت معطلة، جلست بجانب رجل مسن، مرت لحظات صامتة قبل أن ينظر لي ويقول: زوجتي توفيت منذ أسبوع أقرأ لها الفاتحة، بدأت أتمتم بها في سري.. شعرت أني أخطأت.. فأعدتها ثانية وثالثة.. هكذا حتى تأكدت من قولها صحيحة فمسحت على وجهي دليلا على انتهائي من القراءة.

رأيت من قبل شخصا يكره ابنه، أنا.. تغربت وعملت في الخارج.. كنت أرسل لهم النقود حتى يعيشوا حياة كريمة، عدت لأجد ابني تعود على غيابي.. لم يعد يهتم بي أو يحترمني، كل ما يريده هو النقود فقط، أخذ مني كثيرا وخسره في مشاريع فاشلة، عندما انتهت نقودي سرق أموال والدته التي كانت تتوي أن تحج بها فماتت من حسرتها، بعث الشقة وقمت بالحج مرتين مرة لي ومرة لها، أنا أسكن الآن عند أختي وأذهب كل يوم لقرير زوجتي أقضي معها بعض الوقت وأقرأ لها القرآن، حسبي الله ونعم الوكيل، أخذ يكررها بهستيرية حتى قام من مكانه ونزل.

لا أعرف لماذا شعرت بأن هذه رسالة موجهة لي لأنني مقصر في حق عادل، لم أذهب له منذ آخر مرة التي كنت انتظر فيها "مهاب" ولم يأت.

قرأت لعادل الفاتحة وجلست بجانب قبره أقرأ آيات من القرآن الكريم.. شعرت براحة نفسية كبيرة جعلت معنوياتي ترتفع أكثر، قررت أن آتي لزيارة عادل كل يوم أجلس معه بعض الوقت حتى لا أشعر بنوع من التقصير تجاهه.

انتظمت في تلك الزيارات وأضفتها إلى إيقاعي اليومي وأصبح لتلك الزيارات مواعيد منتظمة في جدولي، بدأت أحفظ كل يوم آية جديدة.. تعجبت من أن داليا لا تزور "عادل".. داليا أصبحت لغزا كبيرا بالنسبة لي.. كيف تحب عادل؟ وتزرع كلما أتت سيرته. نفسيته تتعب عند ذكره فتجنبت أن أذكره وأنا معها

وبالتالي نسيته أنا أيضا حتى ذكرني به ذلك الرجل الذي لم أعرف اسمه.

يقف عادل بيني وبين داليا، لا أستطيع أن أحدد طبيعة تلك العلاقة التي تجمعنا.

مازالت والدتي تبكي ووالدي يحاول اختراق ذلك الحاجز فلا يستطيع، تظهر داليا من بعيد وتقترب وتخترق الدائرة كضوء شفاف، أنظر في تفاصيل الوجوه فأجدها ممسوحة المعالم، تقترب داليا وتفرّد ذراعها فتحيط بي، تتسع الدائرة مرة أخرى ولكنها تبقى غير قابلة للاختراق.

أستيقظ على صوت منبه الموبايل، الساعة الآن الخامسة، موعد ذهابي، مشكلة كبيرة، داليا عندها مباراة مهمة بعد ساعة من الآن. لا أعرف إلى أين أذهب؟ قررت الذهاب لعادل، أعتقد أنه يحتاجني بجانبه أكثر من داليا.. سيكون مرتاحا ووثقا في أنني لم أخنه ولن أفعل أبدا، تكلمت مع عادل قليلا ثم قرأت له بعض القرآن.. رن موبايلي.. داليا تبكي بسبب هزيمتها في المباراة.. أول مباراة تخسر فيها منذ وقت طويل، هزيمتها كانت بسببي، بسبب عدم حضوري هكذا تقول... هدأتها وأخبرتها أنني قادم حالا.

كانت حالتها سيئة جدا، تمنيت لو عاد الوقت لكنت جئت إلى النادي ووقفت بجانبها وشجعنتها أثناء المباراة، تماكنت أعصابها بعد وقت قليل عندما أخبرتها أن بكاءها يحزنني للغاية، كان مدربها متعجبا فكيف تخسر من لاعبة مبتدئة؟ كادت هذه الخسارة تمنعها من المشاركة في بطولة الجمهورية لتمثيل النادي ولكن المدرب قرر إقامة مباراة أخرى وإعطاء داليا فرصة ثانية.

كنت حاضرا في هذه المباراة، ساندت داليا بقوة.. فهمت قواعد اللعبة.. فازت بالمباراة في وقت قياسي.. أخبرتني أن هذه المباراة هي أفضل مباراة لعبتها في حياتها، لم أعرف لماذا شعرت في تلك اللحظة أن داليا تحتاجني أكثر من عادل؟ كانت هذه هي المرة الأولى التي أتخلف فيها عن ذهابي لعادل.. شعرت بتأنيب ضمير فقررت ألا أتخلف عن الذهاب إليه بعد ذلك مهما كلفني الظروف.

كنت أذهب لعادل كل يوم حتى في أيام امتحانات آخر العام، نسيت "كريم" و"خالد" و"مهذب" أو هكذا اعتقدت، بدأت أجازة آخر العام وبدأت معها بطولة الجمهورية التي انشغلت فيها مع داليا، اجتازت داليا مباراة تلو الأخرى حتى فازت بالبطولة كما هو متوقع. احتفلنا معا بفوزها، هكذا كان يفعل عادل معها، كانا يحتفلان معا، لم أفعل ذلك لأقلده بل هي التي طلبت مني ذلك.

في هذا الوقت كان ياسر يحرز تقدما ملحوظا، أخبرني أن المدرب معجب جدا بطريقة لعبه ففرحت كثيرا وأنا أرى إنني كنت السبب في فرحة هذا الولد الصغير.

توالت جلسات علاجي النفسي، أصبحت في أحسن حال، قلت للطبيب أشياء كثيرة ولكني أخفيت عنه أشياء أكثر، ربما خفت أن أظهر أضعف، المهم الآن أنني أصبحت بخير وتجاوزت تلك المرحلة السخيفة التي لن أتذكرها ثانية، كل مايربطني بها الآن الذهاب لعادل مرة كل أسبوع في صباح يوم الجمعة حتى أبقى وفيها في نظره، كتب الطبيب لي بعض المهدئات فسألته هل يمكن أن تسوء حالتي مرة أخرى، في الغالب لا.. لم ترضني إجابته. الخوف من عودة المرض مرة أخرى يمكن أن يجعل حالتي النفسية تعود كسابق عهدها.

كانت داليا مثلي تماما انتهت فترة علاجها فعادت مثلما كانت، بدت كوردة قد تفتحت بالكامل، بدت ضحكتها أجمل وأكثر صفاء، أنا متأكد أننا الآن في أفضل حالتنا وأن معنوياتنا في السماء.

مع ارتفاع مستوى داليا في اللعبة كان لايد أن تمثل مصر في بطولات التنس الدولية، شجعتها كثيرا على السفر ولكنها كانت خائفة في أول الأمر بعد ذلك اقتنعت أنها قادرة على المشاركة وتحقيق نتائج إيجابية كما أقنعتها أن "فوبيا" الطائرات هذه لن تمنعها وأناي سأساندها بكل قوة وأن لم تكن تريد أن تشارك في البطولات الخارجية لنفسها فعليها أن تفعل ذلك لأجلي.

تم كل شيء بسرعة وسافرت داليا، كانت الأمور كلها ميسرة تماما فزادني ذلك تفاؤلا، وعدتها أن أكلها كل يوم فأنا متأكد أن هذا يعطيها دفعة كبيرة للفوز أو التمثيل المشرف بما أنها أول مرة تشارك في بطولة كبيرة كهذه.

إذا استمرت الأمور جيدة بهذه الطريقة أعتقد أن حالتي لن تسوء ثانية وسأعود مثلما كنت، لا، لا.. أريد أن أعود لأي حال من أحوال الماضي، فلأكن أفضل، المهم الآن هو تشجيع داليا ويأسر فالاثنان أرى فيهما نفسي وأرى أن نجاحهما هو نجاحي، أعرف أن هذه ربما تكون سلبية أو دعوة نفسي للكسل والخمول ولكن هذه هي الحقيقة فأنا في الوقت الحالي ليس لدي ما أفعله، ليس لي مشروع أود تنفيذه أو حلم أود تحقيقه، إذن فكل ما أملكه الآن هو بعض التشجيع الذي يجعلني أقف وراء من فعل الانتصار ويكون لي الحق في الاحتفال معه والشعور بتحقيق نفسي وتحقيق الرضاء الداخلي والتوصل إلى صيغة اتفاقية مناسبة للتصالح مع الذات. الذات التي اتعبتني كثيرا وعذبتني بأمراض لم يكن لي دخل فيها إلا بالمشي وراء غيري ولم يكن لي اختيار أو بالأدق كان لي الاختيار ولم أختار صوابا.

لماذا العودة لهذه النغمة اليايسة المملة مرة أخرى؟ نعم كان لدي اختيارات ولم أستغلها، ماذا حدث؟ هل خربت الدنيا؟ قالها لي الطبيب أكثر من مرة، لا تنبش في الماضي ولا تندم على ما فعلت وماذا أيضا؟ هه؟! والنظافة سلوك حضاري والإسراف في الماء خطأ لأنهم سيسرقون النهر.. والجودة متطلب ثقافة المنافسة.. ومدرستي متطورة، لكن المراكز أحلى بكثير، وذاكر

تنجح وغش تجيب مجموع.. أعجبتني نكتي المقززة فضحكت كثيرا وأنا أتذكر المدرسات وهن يرددن الشعارات البالية دون فهم.. أصنام هي الشعارات الجوفاء، فهن وجدن أباءهن وأجدادهن يرددن هذه الشعارات فرددنها مثلهم، عموما ليس هذا وقت المدرسات السخيفات اللاتي كن يضعن نظارات طبية بطريقة مستفزة على أنوفهن فهذا الكلام التعليمي الممل يجعلني أرغب في التقيؤ.. كعادة معظم الناس آخر ما تهتم به هو سماع اللوائح.. الناس في بلادي يخافون من أشياء كثيرة.. لكن القانون هو آخر ما يشغلنا.

حاولت تغيير مسار تفكيري.. عدت للتفكير في ياسر وداليا وفي ذلك الإنجاز الذي لم يتحقق بعد وفي تحقيق ذاتي المرتبط بالإنجاز المنتظر، أصبحت كالفتاة التي تنتظر زواجها بفارغ الصبر حتى تأتي بأولاد تحقق بهم ذاتها المزعومة.. يحزنني كثيرا بأن أقوم بمثل هذا الدور، يجب أن أجد ما أحقق به نفسي، ليس بإنجازات الآخرين ولكن بإنجازاتي أنا، يجب أن أبحث عن مجال لتحقيق الذات حتى تظل حياتي سوية سليمة مثلما أودها وحتى لا يظهر لي ما ينقص حياتي التي تمنيت أن أعيشها كما أريد.. ولكن ماذا أريد!؟

من يراقبك من بعيد يصدر عليك أحكاما مسبقة، هذا ما كنت أخاف منه فكنت لا أتكلم كثيرا فيكون الحكم أسوأ بكثير فظهرت

بصورة المنطوي..عادل هو من قام بتوجيهي بعد ذلك، بدأ يستفزني حتى لا أخجل وبالفعل حدث ما أتمناه وأصبحت لا أخاف من تلك الأحكام المسبقة اللعينة وأصبحت متوازنا.

أعتقد أن ثقة عادل كان مصدرها داليا مثلما كان مصدر ثقتي المؤقتة بنفسي ظهور أنيا في حياتي، الغريب أن داليا معي الآن ولم أستعد ثقتي الكاملة بنفسي، لذلك أصر على تحقيق مشروع ناجح خاص بي لأصبح غير محتاج حتى لداليا أو ياسر.. حتى لا أتعب إذا فقدتهما مثلما فقدت عادل فالقاعدة الآن تقول توقع ضياع الشيء فقط لأنك تحبه.

تعجبت من تصرفاتي ففي أول يوم بعد سفر داليا قمت بجميع التصرفات التي أقوم بها معها، ذهبت للجري الذي أصبحت أحبه الآن، لم أعد أتعب بعد فترة قصيرة، أعتقد أن تحسن صحتي كان له علاقة بتحسن نفسي، تمنيت أن تمشي الأمور على تلك الوتيرة الهادئة، لست في حاجة إلى أنغام صاخبة أو أحداث سريعة، أنا في حاجة إلى تروٍ وإعادة هيكلة أمور حان الوقت لأخذ قرار فيها كطبيعة علاقتي بداليا أو بداية مشروع ناجح وأمور أخرى ليست في ذهني الآن.

بعد الظهر أقوم بالقراءة، هذه عادة تعلمتها من داليا وشجعتني عليها الطبيب النفسي.. لم تكن القراءة هوايتي ولم أقرأ في حياتي سوى الكتب الدراسية، في البداية كنت أنبهر بكل ما تقع عيني عليه حتى أصبحت اختياري أكثر دقة، لست من هواة الكتب

كثيرة الأوراق مهما كانت تحوي ولكني أفضل المقالات الصغيرة أو القصص القصيرة، قالت لي داليا إن هذه هي البداية وبعد وقت وعندما تعتاد على القراءة ستدخل في مرحلة أخرى، مرحلة الروايات وكتب الأدب والتراجم.. لم أسألها ماذا بعد ذلك؟ حتى لا أشعر بالإحباط.

أتعجب من تلك الخطط الطويلة التي تضعها داليا لنفسها وتريد أن تضعها لي، أحب أن أقضي يومي كعامل "أرزقي" يفكر كيف ينتهي يومه ولا يفكر في الغد، أما داليا فتفكر لسنين قادمة كرجال الأعمال وموظفي البنوك، لا أعلم لماذا هاتان الفئتان بالتحديد هما من جالتا بخاطري.

ربما الفرق بيني وبين داليا في ماضينا فكل شخص في تلك الحياة لديه ما يكفيه من تجارب وخبرات ومواقف هي التي تؤثر فينا. ديون تتراكم من الماضي ولا نحسب حسابها ومدار من أفكار الطفولة ننحصر فيه ولا نخرج منه أبداً، كل منا له عالمه الضيق الذي يعيش فيه ويؤثر على اختياراته بعد ذلك كما يؤثر فيه الجو المحيط به أثناء طفولته فتتحدد معه صفات تظل تلازمه طوال عمره ولا يستطيع التخلص منها وإن نجح يكون ذلك بشق الأنفس ولفترة قصيرة ثم تعود ربما لعادتها القديمة.

أمضيت بقية يومي في مشاهدة التلفزيون.. مر الوقت بسرعة.. نمت مبكراً في هذا اليوم، ضببت منبهني لأن الغد هو الجمعة

وفي صباح ذلك اليوم معتاد أن أذهب لعادل، هذا هو واجبي نحوه أن يظل في بالي دائما ولا يشغلني عنه أي شيء.

في مواعي الأسبوعي المحدد كان عادل في انتظاري، رغم كره عادل للانتظار فهو لم يقابلني في مواعده قط، الآن صار ينتظرني وأعتقد أنني الآخر أنتظر ذلك الموعد الذي يقوم بتصفية ذهني وروحي ويجعلني أتقبل أياما قادمة بدفعة غير مصطنعة من الهدوء و التفاؤل.. كم أنا سعيد الآن!

مر أول يوم بعيدا عن داليا بهدوء، كنت أتمنى أن تسير الأمور على هذا المنوال، رن جرس المنزل المزعج في منتصف الليل، من يأتي في مثل هذا الوقت؟ تعودت على النوم مبكرا ولم يصبح لي أصدقاء، قمت مسرعا لأرى من الطارق، نظرت من العين السحرية فلم أتبين تلك الملامح ففتحت الباب لأجد آخر شخص أتوقع مجيئه، نعم إنه مهاب.

بعد عبارات المجاملة الرتيبة سألت "مهاب" عن سبب قدومه إليّ في مثل هذا الوقت فتجاهل كلامي كعادته وبدأ يتكلم بلا انقطاع عن الصداقة وواجبات الصديق نحو صديقه وكلام من هذا القبيل، سألته عن سبب توجيه هذا الكلام لي فأنا أعرف هذا الكلام جيدا ولم أحن أحدا من أصدقائي في يوم من الأيام.

عادل.. لقد خنت عادل ولا تريد أن تعترف بذلك، ممكن تقول لي ما طبيعة علاقتك بداليا.

علاقة طبيعية جدا، أصدقاء في مجتمع لا يفهم مثل هذه الصداقات ولكن ما دخلك أنت هذه حريتي الشخصية وأنت بتطفلك هذا تزعجني.

كنت أحاول أن أساعدك في الخروج من محنتك ولكنك الآن لا تقدر هذا الجميل.

كيف كنت تساعدني وأنت اختفيت في وقت علاجي وظهرت الآن؟

من الواضح أنك غير مقدر لما فعلته لك، بابتعادي عنك نسيت الماضي وبدأت حياتك الجديدة.

لم تكن أنت صلتني الوحيدة بالماضي، كان هناك عادل وكريم وخالد.

عادل مات إلا إذا كنت تعتقد غير ذلك وفي هذه الحالة فأنت مازلت مريضاً، كريم تخلى عنكم، وخالد أنت تعرف مصيره، إذن من تبقى؟ لم يتبق سوى فاخفيت ولم أت لك حتى تنفصل عن الماضي تماماً وبالتالي تم علاجك.

تتكلم مثل الأطباء النفسيين.. صحيح ماذا تعمل؟

مخرج وقبل أن تسأل عن تفاصيل أكثر سأقول لك، قمت بإخراج أفلام كثيرة جداً منعت من العرض لأكثر من سبب، قمت بعمل أفلام وثائقية فمنعت هي الأخرى لأكثر من سبب وقبل أن تسأل ثانية عن تفاصيل أكثر، الأفلام منعت لأسباب أخلاقية وتوجيهية وهناك أفلام كانت مثل أفلام الرعب فلن يتحملها المشاهد ضعيف القلب.

كل أفلامك منعت، إذن لماذا تعمل بهذه المهنة؟ وكيف تنفق على نفسك؟ أسئلة كثيرة لشخصيتك الغامضة التي لم أكتشفها بعد.

لا تتعب نفسك فلن تكتشف شيئاً، سأجيب على أسئلتك كلها في الوقت المناسب، سؤال وحيد الذي سأعطيك إجابته الآن هو سبب هذه الزيارة المفاجئة، أعرف أنك تشعر بالوحدة بعد سفر داليا لهذا جنّت.

تعرف أن داليا سافرت.. معلوماتك متطورة جداً، من أين لك بهذه التفاصيل الدقيقة كلها؟ لن نتحدث قبل أن تجيب على كل تساؤلاتي.

ألم أقل لك أنني مخرج وهذه المهنة تحب الدقة وقوة الملاحظة، عموماً سأتركك الآن لتستريح وتقابل في الغد فأنا أعرف أنك كنت نائماً.

اتجه مهاب نحو الباب وخرج وتركني غارقاً في تفكير لعين وشكوك حول تلك الزيارة الليلية في هذا الوقت المتأخر والتي لم أكتسب منها أي معلومة، كل ما تذكرته هو أجزاء سخيفة من الماضي كنت نسيته وخرجت من قبضتها المحكمة، عموماً قد لا يأتي مهاب مرة أخرى وينساني ويكون هذا في صالحه، هذا كان آخر ما فكرت فيه قبل نومي.

عندما استيقظت اعتقدت أن زيارة مهاب هذه كانت حلماً ولكني استرجعت كل الأحداث فأكدت لي أنها كانت واقعا ومهاب هذا حقيقة وليس خيالاً.

في الفترة التي خرجنا فيها أنا وعادل من سيطرة خالد ابتعد عنا لبعض الوقت وتعرف على مجموعة لم يكن من بينها مهاب "هكذا قال لي خالد وقتها" تعرفت هذه المجموعة على مهاب فأعجبت بغموضه وأسلوبه، كانت مجموعة خالد هذه مكونة من ثلاثة أشخاص، خالد نفسه وأمير وموفق.. عندما عرفني خالد عليهم أشفقت على أمير صاحب الوجه المشوه، كان وجهه مقسما نصفين أحدهما نابض يمتلئ بالنشاط والحيوية والجزء الآخر كئيب قائم كأنه يمثل وجه شخص ميت.. أما موفق فكان شخصا عاديا جدا مثل أي شخص طبيعي، تعجبت من تعرف خالد عليهما فهما يختلفان عنه في كل شيء، طريقة التفكير.. الشخصية.. كانوا على النقيض تماما.

أعتقد أن الإنسان في فترات حياته المختلفة يحب أن يكسر الملل المخيم حوله فيتعرف على أشخاص جدد دون تمييز لطبع تلك الشخصيات أو دون أن يعرفها جيدا، وأعتقد أيضا أن أمير وموفق كانا في هذه المرحلة فتعرفنا على خالد ومهاب، ربما ما جذبهما لخالد هو ما جذبني إليه أيضا وذلك المهاب قد يبهرك أحيانا بمعلوماته الكثيرة عنك التي تبين أنك تحظى باهتمام واسع عنده كما أن غموضه وقلة المعلومات التي يدلي بها عن نفسه هو ما يجذب الأشخاص إليه.. الفضول السخيف هو قطعت أفكارني فكرة أخرى لم أكن أعرف أين كانت تغيب عني، أمير وموفق.. أين هما الآن؟ الاستفادة من دروس الآخرين أهم درس علمته لي القراءة التي وجهتني إليها داليا.

توجهت إلى المقهى الذي كان يرتاده خالد ورفاقه، أخبرني العامل عندما سألته عنهم أنهم كانوا زبائن دائمين ولكنهم انقطعوا عن المجيء منذ فترة طويلة، سألته عن عناوينهم سخر مني وقال إنه ليس من اختصاصاته تدوين عناوين زبائنه لأنه ليس شيخ حارة، تركته وبعد مسافة ليست قصيرة ناديت عليه وأشرت له إشارة بذئبة وبصقت على الأرض وجريت، أحب أن أقوم بتصرفات الأطفال هذه من وقت لآخر، ليس لهذا التصرف علاقة بعلاجي فأنا لم أخبر الطبيب به.. اعتقدت أنه ليس له أهمية.. فكرت في سؤال المحلات المجاورة للمقهى عن أمير ذي الوجه المتناقض فأنا أعتقد أنه يسكن قريبا من مكان المقهى لأنه كان معتادا على الذهاب كل يوم وطبيعة البشر تجعلهم دائما قريبين من الأماكن التي يعرفونها ليضفي عليهم ذلك شعورا بالأمان.. بدأت بالسؤال فكانت الإجابة بالنفي فكررت سؤالي في أكثر من مكان فلم يجب أحد الإجابة التي انتظرها فعدت للمنزل يائسا.

دارت في ذهني كثير من الخواطر حول اختفاء أمير وموفق، فكرت في الحل الثاني الذي لم يأخذ حقه من التفكير وهو أنهما كانا يسكنان بعيدا عن هذه المنطقة التي جلسا فيها مع خالد ومن بعده مهاب، الشعور بالملل من الحياة الرتيبة جعلهما يبحثان عما هو جديد، لعنت الغباء الذي يجعل اثنين مثل أمير وموفق بشخصيتهما السوية المسالمة يتعرفان على خالد ومهاب، ولعلهما ليسا بالاستواء والمسالمة.. ماذا أعرف عنهما بالتحديد؟ لا بد أن مصيبة ما قد حدثت لهما فهذا الاختفاء غير الطبيعي يثير الشكوك.

أعتقد أنني لو سألت "مهاب" لن يجيب وسيتكلم في موضوع آخر كعادته السخيفة في تجاهل كلام من يحدثه والتي تشعر بك بأنك آخر شخص من الممكن أن يهتم به رغم معرفته لكثير من المعلومات عنك فتشعر بأن هناك شيئا غريبا ناتجا من هذا التناقض المصطنع.

مهاب لن يقول لي شيئا، هذا هو ما أعتقد، عموما لا بد أن اخترق السرية والغموض اللذين يحيطان به.. مه.. مهاب.. مهاب.. أنا متأكد من اسمه على الأقل.. يجب أن أعرف عنه بعض الأشياء حتى أعرف مع من أتكلم.

كنت مستعدا للقاء مهاب في أي لحظة، أعرف أنه يعتمد مواجعتي في أوقات مفاجئة فماذا لو صنعتها أنا وأجبرته على المجيء، عليّ أن أقوم بتصرف غريب يشده فيأتي ولكن من أين؟ أظن أنه يراقبني! وإذا كان يراقبني فلماذا أنا بالذات؟ وكيف تتم هذه المراقبة غير المحسوسة؟.. تمشيت في الشارع فلم أشعر أن هناك من يراقبني فصرت أتعلم الالتفات حولي والنظر متفحفا وجوه المارة فلم أجد ضالتي، مشيت كثيرا متبعا جميع قواعد التهرب من المراقبة، لم أمش في شارع طويل بل كنت أغير طريقي باستمرار وأدخل في الشوارع الفرعية، أنظر حولي دائما، لم يكن في ذهني أي أفكار جديدة، كلها أفكار انتظرية تعتمد على الآخرين لتحريكها لأقوم أنا كعادتي برد الفعل.

توصلت أخيرا لفكرة غريبة قد توجه نظر مهاب فيقابلني، ولكن كيف سيجدني فأنا متأكد أنني غير مراقب، جلست على امتداد

الرصيف المقابل للمقهى حتى لا يراني العامل فيها فأنال جزاء ما فعلته فيه.. لمدة ساعة لم يحدث أي جديد، شعرت بالملل فقررت أن أقوم حينها وجدت من يجلس بجانبى ويضع يده على كتفي.

كيف عرفت مكاني؟ أخذت أكررها في هستيرية، يحاول مهاب أن يقول جملته فلا أترك له أي فرصة.. أكرر جملتي دون سماع ما يقوله فيظل صامتا حتى أتوقف عن ترديد جملتي.

انتهيت.. أنت غير مراقب.. لماذا أراقبك؟ ورائي كثير من الأشياء أهم منك مئة مرة، أنا أفكر وأنت تفكر فنتقابل في نقطة ما، غير مهم أين تكون هذه النقطة، المهم فقط هو أن تكون هناك نقطة تلاق، الموضوع كله توارد خواطر أو تفكير منطقي يصل لنفس النتائج.. فهمتني.

وهل تفكيرى هذا تفكير منطقي؟

نعم منطقي جدا.. تذكرت أمير وموفق فتريد أن تعرف ماذا حدث لهما؟ سأقول لك ما أعرفه، منذ أن تركهم خالد وعاد إليك أنت وعادل لم أذهب لهما ثانية.

لماذا؟ هل أنت قرين خالد فتلازمه أينما كان؟ قلتها بسخرية.

لنذهب من مكاننا هذا.. قالها متجاهلا سؤالي.

رجعت للبيت ومعى مهاب.. جلسنا نتكلم قليلا عن الحياة عموما. كان الحديث مملا فانصرف بعد أن أظهرت له استيائي من هذا الحديث، فتح مهاب الباب وخرج، جاءتني فكرة مجنونة هي مراقبة مهاب، نزلت مسرعا وراءه، وصلت للشارع ونظرت

يمينا ويسارا فلم أجده، عزمت على تنفيذ هذه الفكرة بعد زيارته القادمة.

يمر الوقت ولا يظهر مهاب، غدا الجمعة وموعدي الأسبوعي مع عادل.. أتكلم مع داليا باستمرار وأشجعها على المواصلة بالمستوى المشرف الذي تلعب به حتى الآن حينها وعدتني ألا تعود إلا ومعها الكأس، مازال ياسر يتدرب بجدية وأنا أشجعه وأذهب أحيانا إلى تدريباته الصباحية، ما يضايقتني حقا هو شريف ذلك الولد الذي يكبر ياسر بسنة ويتدرب معه، لاحظته يشعر بالغيرة من ياسر.. حدثني ياسر من قبل عنه وقال لي إنه يعتمد أن يذكر أنني لست أهلا لهذه الفرصة التي أنتتني لأنني لست مشتركا في هذا النادي.. كما أنه يعتمد أيضا أن يدخل بخشونة عليّ حينما تكون الكرة معي، طلبت من ياسر ألا يهتم به ويجعل ذلك حافزا له ليتفوق أكثر فهز رأسه موافقا، اتصل والداي، سيصلان بعد أسبوع تقريبا، الموعد السنوي نفسه، هما مهندسان في إحدى الشركات الكبرى في مجال الاتصالات، تستغرق أجازتهما السنوية شهرا ونصف، تعودنا على الفراق فوجودهما أصبح يمثل لي عبئا نفسيا، في الأحيان العادية أكون غير مقيد بأي التزامات نحو أي شخص ولكن عند وجودهما قد يضيق الخناق عليّ وأصبح مثل سمكة في شباك صياد "رخم" لن يرحمها.. أكثر الفترات التي أشعر فيها بالشلل وعدم القدرة على التصرف بحرية هي أوقات وجود والدي في مصر أو في أوقات الدراسة التي تمثل لي العبء الأكبر منذ بداياتها لذلك في هذه

الفترات أكنّ دائما في المنزل ولا أقوم بأي مشاوير إلا الضروري منها كالذهاب للكلية أو لدخول الحمام.

يتصل بي مهاب ويخبرني: **"وجدت ما تريده"**، فهمت كلامه فقد وجد أمير وموفق، أطلب منه أن أقابلهما الآن فيخبرني بأنه أخذ منهما موعدا في الغد، أتعجب من ذلك الموعد المريب، من يقابل شخصا في الثامنة صباحا، يقول مهاب إن هذا شرطهم.. أوافق وبدخلي بعض الشك يختفي لأبدأ في التفكير في مقابلة الغد، الثامنة صباحا عندي في المنزل، حذرت مهاب من الخروج لأي سبب من الأسباب، **"لا تقلق إذا تأخرت لبعض الوقت"**، بعد انتهاء المكالمة تذكرت أن عندي في الغد أهم مشوار في حياتي.. مشواري لعادل.. الشيء الوحيد الذي يربطني بصديقي العزيز، لقد كنت وعدته بالأ أنقطع عن زيارته أبدا.. نمت وتمنيت أن أستيقظ في الغد وبدخلي القرار.

تضمني داليا بقوة فنتسع الدائرة وتتحول ملامح من هم بلا ملامح إلى ملامح عادل، يرتسم على وجه عادل عتاب يستمر لثوان ثم يختفي.

أستيقظ منزعجا لعدم رغبتني في تكلمة حلمي المتتالي، رغم أن هذا الجزء لم يكن بشعا مثل سابقه، أعتقد أنني أشاهد حلقات مسلسل من هذا الحلم اللعين الذي ينغص عليّ حياتي.

أخذت قراري وارتديت ثيابي، اتجهت صوب الباب في تردد حتى وصلت يدي للأكرة فأمسكت بها بقوة كغريق يتعلق بحبل النجاة، أحرك الأكرة حركة ضعيفة واهنة لا تتناسب مع قوة إمساكي بها، أفتح الباب بعد عناء فأتحرك خارجا وأغلق ورائي، أغلق الباب بالمفتاح ثم أتحرك فأتذكر أنني نسيت المفتاح فأعود ثانية وأخذه وأضعه في جيبي، أمشي بهدوء ناحية المصعد فأتذكر أنه معطل، أتجه ناحية السلم وأنزل بهدوء على غير عاداتي ويدي تنزلق على الدرايزين المتراكم عليه تراب لم يُمسح منذ قرون، أشعر بشيء يجرح يدي فأنظر لأجدها تدمي لوجود بقايا زجاج مكسور على ذلك الدرايزين القذر، ألعن غفلتي وأنظر ليدي في غضب ممزوج بحسرة مختلطة بدهشة مشوبة بالألم.

أصعد ثانية وأنا أشعر بتمزق من داخلي، أبدأ في تنظيف جراحي فتعلو آهاتي الداخلية، أشعر بمرارة في حلقي لا أعلم سببها، أنتهي من تنظيف الجرح الذي مازال يؤلمني فأستنتج وجود شظايا زجاجية داخل يدي لم تخرج بعد، علي أن أذهب للطبيب حتى لا تحدث مضاعفات، أبدل ثيابي بأخرى وأنظر للساعة فأجدها الثامنة والثلاث، أجلس على الكنبه المواجهة لباب الشقة منتظرا لمهاب، أغمض عيني فأشعر أن روحي تنسحب مني، أستيقظ معتقدا أنني لم أتم كثيرا فأنظر للساعة فأجدها تجاوزت الثالثة، تعجبت من عدم وجود رقم موبايل مهاب معي، في الحقيقة لا يحق لي التعجب فمعلوماتي عنه تكاد تكون معدومة.

لا يوجد أسوأ من الانتظار، تمر الدقائق والثواني بطيئة ودقات الساعة رتيبة ومملة تشعرك بالاكئاب، لعنت "مهاب" وتحذيراته

من الخروج، فلدت أسلوبه وهو يحدثني في التليفون: لا تخرج أبداً قد آتي في أي لحظة، كل ما يجعلني أنتظر هو شعفي لرؤية أمير وموفق.

كلمتي داليا وطماننتي عليها، أخبرتني أنها تبذل كل ما في وسعها لإحراز البطولة، إذا وصلت للنهائي فسيكون أمامها أسبوع وتعود إلى مصر.. أخبرتني أيضاً أنها تشنق إلي كثيراً، تمنيت في هذه اللحظة أن تكون معي، أود أن أضمها وأقبلها فلقد اشتقت إليها.

تبقت دقائق قليلة وتقترب الساعة من منتصف الليل ولم يأت ذلك المهاب، بات مؤكداً لي أنه كان يريدني أن أجلس في المنزل فحسب، كما أتوقع أنه لن يحضر وبالتالي فلن يحضر كل من أمير وموفق، شطحت بخيالي بعيداً وبدأت أعتقد أنه من وضع لي الزجاج الذي أصابني، ولكن لماذا لا يريدني أن أخرج من البيت؟ ما هدفه؟ لو يساعدني خالد، خالد لا يقدر حتى على مساعدة نفسه، دقت الساعة معلنة وصول عقاربها للرقم اثني عشر.. فتحت الكيس الصغير الذي أضع فيه أدويتي، أبتلع بعض الأقراص دون تمييز، بعد دقائق قليلة يبدأ مفعول المهدئات وتثقل عيناها فأغلقهما، أشعر أن رأسي يدور.. بعد لحظات أغيب عن الوعي تماماً.

تعود الوجوه إلى سابق عهدها بلا ملامح، تختفي داليا وبيتعد والدي عن الدائرة ويختفي هو الآخر بعد عدم قدرته على اجتياز السياج الحديدي، يتبقى فقط صوت صراخ والدتي، تظهر أنيا بعيدا عن تلك الدائرة وتبدأ في خلع ملابسها ببطء، أحاول صرف نظري عن جسدها العاري، تختفي بعد أن تتخلى عن ملابسها تماما.

قمت من النوم بكامل إرادتي.. فليس لدي رغبة في مواصلة هذا الحلم.. ليس لي رغبة في عمل أي شيء على الإطلاق.

شعرت أنني غير متزن فانتظرت لدقائق قبل أن أنهض من سريري، فكرت في فعل أي شيء حتى أخرج من جو كئيب صنعته لي الظروف بالاتفاق مع مهاب، ياسر يتدرب الآن، نعم اليوم هو موعد أحد تدريباته.

أخذت أتابع ياسر وهو يراوغ بمهارة، في هذه اللحظة كتمت صرختي، لقد دخل شريف بقوة على ياسر متعمدا إيذائه، اندفع كل من بالتمرين للاطمئنان على ياسر بينما وقف شريف يقول وهو يبكي: ماكنش قصدي.

انتظرنا كثيرا حتى حضر الطبيب فأجرى كشفا سريعا على ياسر ثم طلب سيارة إسعاف وتم نقل ياسر للمستشفى، كان يبكي من شدة الألم.. حضر والداه واكتملت الصورة المحزنة، لن أنسى تلك النظرات التي رمقتني بها والدة ياسر كأني السبب في كل ذلك. انسحبت من الغرفة في هدوء، سألت الطبيب عن حالة ياسر

فأخبرني أنه لن يستطيع أن يلعب كرة القدم ثانية، وقع علي الخبر
كالصاعقة وخرجت دون أن أبدي أي تعليق، فلقد توالى
المصائب علي كأن النهاية قد أوشكت.

لا توجد كلمات تصف حالتي، انتكاسات متوالية أمر بها وأشعر أن هناك ما هو أسوأ قادم، كأنه عقاب إلهي لتخلفي عن مواعيدي مع عادل.

مرت ثلاثة أيام وأنا ملازم للبيت، لا أريد الخروج، أشعر أن حالتي باتت سيئة جدا، أسمع أصواتا متداخلة، سمعت صوت عادل يحدثني في أكثر من موضوع وسمعت صوت خالد أيضا، من دخل معي في حوار طويل هو مهاب يظهر مبتسما إظهارا لسعادته فيما وصلت إليه ثم يختفي ويظهر لي في غرفة أخرى كأنه يصر على أن أصبح أكثر جنونا.

لم تعد ذلك الصديق المخلص الذي كان في مخيلتي، الفضول كان أحد أسباب فوزي بالرهان.

رهان.. رهان ماذا؟.

أرأيت، حالتك لا تسمح بالحديث ومع ذلك ففضولك يسيطر عليك، عموما سأخبرك فلقد انتهت مباراتي معك.

أعرف جيدا حبك لعادل وأعرف أيضا أنك عاهدت نفسك على عدم الانقطاع عن زيارته أبدا ومن هنا بدأت التحدي الخاص بي،

قررت أن أمنعك في إحدى المرات عن الذهاب لعادل ونجحت في هذا بمنتهى السهولة.

كلام فارغ، الزيارة ليست الدليل الوحيد على تذكرني لعادل.

هذا ما تعتقده، أنا أعرف ما بداخلك وكنت أعرف أيضا أنها أصبحت الشيء الأخير الذي يجبرك على تذكر عادل بعد أن امتلكت داليا حبيبته، لا تتكر قلت لك سابقا أنا أعرف ما في داخلك وعلى فكرة أنا تركتك تأخذ وقتك كاملا حتى لا تكون لك أي حجة، تركتك حتى تشفى تماما من أمراضك الداخلية، تركتك حتى تصبح إنسانا سليما، زمان كنت أستغل نقاط الضعف وأركز هدفي عليها، أما الآن ومع انعدام فرصة منافسي في الفوز فلا أظهر إلا للأصحاء الأوفياء فأدخل معهم في رهانات أغير لهم بها مجرى حياتهم، تعرف أنا أصح أغلاطهم أحيانا وأحيانا أخرى أغلط "أصلحهم".. أنت أكيد لن تراني ثانية، آخر حاجة أحب أن أقولها لك أنني حزين جدا لأنني أضعت وقتي معك.

طوال حوارهِ معي ظللت محدقا في سقف الحجرة كأني غير مهتم بما يقوله إن ما يحزنني حقا هو أنني كنت أحد أسباب ضياع حلم ياسر ولكن من أين لي أن أعلم بأن هذا سيحدث.

المصيبة الأعظم في غياب داليا، أنا من دفعتها للسفر، لقد كانت تخاف الطائرات، خرجت من قبل النهائي وكانت سعيدة جدا لوصولها لهذا الدور المتقدم، أخبرتني أنها قادمة ولكنها ستتأخر قليلا بسبب تأجيل الرحلة عدة مرات لظروف استثنائية "لا تقلق

إذا تأخرت لبعض الوقت" لكنها تأخرت كثيرا.. كثيرا جدا ولم
تصل بعد.

هل كنت أنا السبب في انهيار أحلام ياسر واختفاء داليا.. لا أنا
أحمل نفسي ما لا أطيق.. هل أحمل نفسي وفاة عادل أيضا.. أنا
أقسو على نفسي كثيرا.

منذ اتصال والداي وإبلاغهما لي بأنهما أحضرا كل ما أريده
وسيحضره معهما.. قالت أمي : "وجدت ما تريده".

أخبراني أنهما قادمان خلال يومين ويجب ألا يجداني في مثل هذه
الحالة، فكرت للحظة ثم ارتديت ثيابي، قررت أن أزور ياسر،
أقف بجانبه فيعيني ذلك على مساعدة نفسي، فكرت للحظة أخرى
في والدته التي لا تحبني، اتصلت به على هاتف المنزل.. لحسن
الحظ رد ياسر علي فأخبرته بأني أريد أن أراه.. طلب مني أن
نتقابل بعد ساعة في النادي فسعدت بذلك جدا.

جلسنا بجانب الملعب الذي كان يتدرب فيه.. كان ينظر له
بحسرة، تبادلنا الحديث حول نية شريف فأكدت له أنه كان يقصد
إيذائه وحكيت له قصتي القديمة مع وليد، نظر لي طويلا ثم
أخبرني برغبته في تعلم القيادة فانتابنتي الدهشة لتغيير
الموضوع، كرر كلامه مرة أخرى فأبدت موافقتي، خرجنا معا
حتى وصلنا للسيارة، جلس على مقعد القيادة فبدأت أعرفه
بالفرامل والبنزين والدبرياج، بعد أقل من ساعة كان ياسر قد
عرف كل ما يريده، طلب مني أن أجعله يقود السيارة فأخبرته أن
الشوارع المحيطة بالنادي مزدحمة الآن، ألح وكرر طلبه فوافقت

على مضض، استطاع ياسر أن يسيطر على السيارة فشعرت
بالاطمئنان، قاد السيارة لفترة قصيرة ثم أوصلته لمنزله وذهبت
لمنزلي بعد أن اتفقتنا على اللقاء في الغد.

انتابت ياسر عصبية شديدة وهو يشاهد تدريبات الكرة، شعرت
أن هناك إحساسا غاضبا داخله.. قبل نهاية التدريب بربع ساعة
طلب مني أن يقود السيارة في جولة قصيرة.. جلسنا في السيارة
التي كانت مركونة بجوار سور النادي.. أشار لي ياسر على
سيارة واقفة على الرصيف الآخر وقال: دي عربية والد شريف..
أصله ببستناه هنا لحد ما بيخلص التدريب، نظر ياسر في ساعته
ثم قال: دلوقت، ثم نظر بحركة خاطفة لباب النادي فوجد شريف
خارجا، تحرك ياسر بالسيارة وضغط على دواسة البنزين بقوة،
أغمضت عيني حتى لا أرى ذلك المنظر.

كل شهود الواقعة يؤكدون أنه لم يكن هناك أحد غيري في
السيارة، تعجبت من محاولاتهم لتبرئة ياسر، في قسم الشرطة
حكيت للضابط القصة بأكملها، أكد الشهود بأنني مجنون، بعد أن
صدمت شريف قلت بلهجة انتصار: قتلت وليد، قتلت وليد، لم
أشعر بما حدث بعد ذلك فقد أغمى عليّ.

استعارة موبائل الممرضة كلفني كثيرا، اتصلت بكريم وطلبت
منه الحضور للمستشفى فورا، أتى كريم في موعده، تعجب من
ذلك العسكري الذي يحرسني ويرفض دخوله للعنبر، طلبت من

الممرضة أن تطلب منه إحضار أدويتي من المنزل فوافقت بعد أن طلبت مزيدا من المال، يالها من جشعة لو كنت في ظروف أحسن، أي ظروف أتكلم عنها هناك مصيبة حدثت ولا توجد إلا طريقة واحدة للفرار، الطريقة التي انتظرتها طويلا ودفعتني الظروف إليها ببطء.

أحضر كريم حقيبة صغيرة أعطاها للممرضة.. أفرغت كل محتوياتها في يدي، خليط من المهدئات ودواء أنيا الذي انتهت صلاحيته، وضعتها كلها في فمي وتجرعت بعدها بعض الماء. مرت أمامي الأحداث سوداء داكنة كالحة دون إضاءة ولا شاشة بيضاء.. عالم مرعب لمخرج مشوش ومتفرج يغط في نومه ويفيق على ألم قوي في رأسه الذي انشق كشارع مظلم يقبل من أعماقه مهاب ليجلس على طرف سريري وهو يشير لي في شماتة.. أغلق عيني لأسمع صوته: أعرف أنك ماتزال فضوليا حتى وأنت على حافة النهاية، سأخبرك بشيء حتى يظل صوتي هو آخر ما تسمعه.. تريد أن تعرف ماذا حدث لأمير وموفق؟! أحدهما مات والآخر انتحر.

تضييق الدائرة أكثر وأكثر وتتجمع الأجزاء كلها في ملامح مهاب ثم تختفي الملامح ثانية، تختفي الأجساد وتبقى الرؤوس، في هذه اللحظة أستطيع الجري والفرار من الدائرة بعد اختفاء الأجساد.. رؤوس كلاب انسلخت من أجسادها أعناقها ماتزال تنبض وتنفر والدماء تسيل منها قائمة لزجة، تجري الرؤوس الكلابية ورائي دون أجسادها، أجري كثيرا حتى يمتلكني التعب فأقف.. تقترب مني أكثر وأكثر فأجري ثانية لمسافة قصيرة ثم أتعثر، تقترب الرؤوس وتفتح فمها لالتهامي فأغمض عيني غير راغب في رؤية نهايتي.. تدمع عيناى لتتساقط منها دموع سوداء تغلي على وجهي وتفور.. تفور لتتشكل فيها أجساد الكلاب التي تخترق جبهتي وهي تبحث عن رؤوسها اللاهثة في لهيب دخان التحلل حين تتناثر أعضائي بين أحضان والدتي العرجاء التي أفلتت وحدها من براثن النابحين لأسبح في دموعها بعيدا.. بعيدا عن مهاب ووليد وشريف وخالد وكريم وأمير وموفق.. بعيدا عن كل هذا الصخب اللعين.

"انتهت"

القاهرة في 10 أكتوبر 2010